سدني غوتلب ودوره في تطوير طرق الاستجواب والاغتيال في وكالة المخابرات المركزية (1918–1999)

م.د. عمر المختار علاء جاسم محمد

الجامعة العراقية– كلية الآداب

Sidney Gottlieb and his role in developing interrogation techniques at the CIA (1918-1999)

Lec. Dr. Omar Almukhtar Alla. Jassim
Ministry of Higher Education and Scientific Research/College of Arts - Iraqi University
omaralmukhtar.a.jassim@aliraqia.edu.iq

DOI: https://doi.org/10.65074/w1wem191

سدني غوتلب ودوره في تطوير طرق الاستجواب والاغتيال في وكالة المخابرات المركزية (1918–1999)

م.د. عمر المختار علاء جاسم محمد

DOI: https://doi.org/10.65074/w1wem191

ملخص البحث:

يُعد عالم الكيمياء سدني غوتلب احد الخبرات العلمية الأمريكية، الذي وظف قدراته العملية في خدمة المصالح الأمريكية، وبدعم من أعلى المستويات الأمنية في الولايات المتحدة الأمريكية، بما يتناسب مع طبيعة الدور الذي أُلقي على الإدارة الأمريكية (American Administration) بعد انتهاء الحرب العالمية وانطلاق الحرب الباردة، إذ فرضت مجموعة من المتغيرات التي شهدتها العلاقات الدولية، واقعًا جديدًا على الإدارة الأمريكية، دفعها إلى استخدام كل الوسائل الممكنة لمجابهة الخطر السوفيتي، فقد اضطلع سدني غوتليب في تطوير العديد من المشاريع والبرامج العلمية والتقنية المستخدمة في العمليات التي نفذتها وكالة المخابرات المركزية، ولاسيما عمليات الاستجواب والتحكم في السلوك البشري وعمليات الاغتيال النوعية.

Sidney Gottlieb and his role in developing interrogation techniques at the CIA (1918-1999)

Lec. Dr. Omar Almukhtar Alla. Jassim
Ministry of Higher Education and Scientific Research/College of Arts - Iraqi University
omaralmukhtar.a.jassim@aliraqia.edu.iq

Abstract:

The chemist Sidney Gottlieb is considered one of the leading American scientific experts who utilized his expertise in service of American interests, with the support of the highest levels of the US security apparatus. This was in line with the role that the US administration was expected to play following the end of World War II and the onset of the Cold War. A series of changes in international relations imposed a new reality on the US administration, prompting it

to use all available means to counter the Soviet threat. Sidney Gottlieb played a key role in developing numerous scientific and technological projects and programs used in CIA operations, particularly those involving interrogation, behavioral control, and targeted assassinations.

الكلمات المفتاحية:

سدني غوتلب. الإدارة الأمريكية. عقار(ال سي دي). الحرب الباردة. (CIA).

Key Words:

Sidney Gottlieb. American administration. (LSD). Cold War. CIA.

المقدمة:

حصلت السلطات الأمريكية في المناطق التي خضعت لسيطرتها في ألمانية واليابان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (1939–1945)، على وثائق ومعلومات مهمة تشير بضلوع أطباء وعلماء تابعين للنظامين النازي والياباني، بأبحاث علمية متطورة؛ تتعلق بتجارب سرسرية أُجريت على السجناء والمعتقلين في البلدان التي خضعت لسيطرتهم، باستخدام عقاقير وأساليب معينة استخدمت في مراكز ووحدات بحثية فائقة السرية، وقد ارتكزت تلك الأبحاث بشكل رئيس على تطوير الحروب الجرثومية، وعقاقير لها القدرة على السيطرة على فعاليات وسلوكيات الشخص المستهدف، لذا سعت السلطات الأمريكية إلى الاستحواذ على تلك الخبرات العلمية، ودخلت مع السوفييت في تنافس محموم للوصول إليها، وتحقيق الإفادة القصوى منها، عن طريق نقل معلوماتها إلى المختصين في الولايات المتحدة الأمريكية، والعمل على تطويرها بما يتناسب مع ضرورات المرحلة الجديدة من العلاقات الدولية بعد انتهاء الحرب، وارتباطها بالهاجس القومي الأمريكي؛ القائم على الخطر السوفيتي، بعد ظهور العديد من المؤشرات الدالة على تصاعد التنافس الدولي بين العملاقين الرأسمالي والاشتراكي، واستعمال كل الوسائل الممكنة لإضعاف الخصم وإنهاكه لتحقيق الهيمنة الأمريكية، وجاء في هذا السياق، توظيف الدكتور سدني غوتلب في وكالة المخابرات المركزية، لإدارة وحدة علمية في الوكالة، تعمل على تطوير أبحاث علمية فائقة السرية تتعلق

باستعمال عقاقير مطورة لتنفيذ عدد من العمليات السرية في الوكالة، ولاسيما عمليات الاستجواب والاغتيالات.

ترتكز أهمية موضوع البحث في متابعة سيرة سدني غوتلب، ومعرفة أهمية الدور الذي أداه بعد انضمامه إلى وكالة المخابرات المركزية، ومدى إسهامه في تطوير برامج أمنية خاصة بالوكالة، استندت على استعمال العقاقير والمركبات الكيميائية في عمليات الاستجواب والاغتيالات النوّعية التي نفذتها الوكالة خلال الحرب الباردة، والإجابة على فرضية البحث وهي إن سدني غوتلب أفاد من الخبرات العلمية التي استحوذت عليها سلطات الاحتلال الأمريكي في ألمانية واليابان، واحدث نقلة مهمة أثناء عمله في الأقسام العلمية التابعة للوكالة، والمعنيّة بالمركبات الكيميائية المستعملة في العمليات السرية التي نفذتها الوكالة في تلك المدة.

قُسم البحث على ثلاثة محاور، إذ جاء المحور الأول المعنون: **(سدني غوتلب حياته ونشاته ودراسته)**. والذي استعرض بشكل موجز؛ سيرته الشخصية والعلمية، فيما تابع المحور الثاني: **(سعي أجهزة المخابرات الأمريكية للاستحواذ على التقنيات العلمية الألمانية واليابانية)**، والإفادة من خبرات العلماء الألمان واليابانيين في مجال الاغتيالات والتحقيقات. اما المحور الثالث: **(انضمام سدني غوتلب إلى (CIA) ودوره في تطوير عملياتها الخاصة)**، فقد مثّل صلب موضوع البحث، إذ تابع الدور الذي اضطلع به بعد انضمامه للوكالة وإسهامه في تطوير أقسامها العملية.

اعتمد البحث على العديد من المصادر الأجنبية والمعربة التي غطّت معلوماتها مضمون البحث وساهمت في الوصول الى الأهداف التي يسعى إليها، وتوظيفها وفق المنهجية التاريخية التحليلية المعتمدة في المؤسسات الأكاديمية العراقية المعنيّة بالدراسات التأريخية.

أولًا: سدني غوتلب: ولادته ونشأته ودراسته.

ولد سدني غوتلب في الثالث من آب 1918، في حي بروكنس (Bronx) وهو أحد الأحياء الخمس التي تتضمنها مدينة نيويورك، لأبوين يهوديين مهاجرين من أصول مجرية،

إذ هاجر والده لويس غوتلب (Louis Gottlieb) ووالدته فاني (Fanny) إلى الولايات المتحدة الأمريكية مطلع القرن العشرين، وسكنا في حي بروكنس الذي كان موطنًا لمجموعة من المهاجرين الذين كان معظمهم من اليهود الذين قدموا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وجد لويس غوتلب عملًا في صناعة الملابس، وافتتح ورشة عمل لتقديم بعض الخدمات الحرفية، وجمع ما يكفي من المال لاستئجار منزل في شارع 1333 بوينتون (Boynton Avenue 1333) في حي بروكنس(1).

كان سدني غوتلب الطفل الرابع والأصغر في عائلته، وقد نشأ في مجتمع حيوّي مفعم بالنشاط، وعلى وفق ما أشارت بعض المصادر المطلعة، أنه كان على غرار العديد من زملائه في المدرسة الابتدائية، الذين وصفوا بأنهم أطفال أذكياء ينتمون إلى عائلات يهودية ملتزمة، التي عاشت تجربة الهجرة، وسعوا إلى استغلال الفرصة التي أتاحتها إليهم الولايات المتحدة الأمريكية وسارعوا لاغتنامها (2).

عانى سدني غوتلب من مشكلة صحية في سنوات حياته الأولى، تمثلت بوجود انحراف في قدميه، ووفقًا لأحد أقاربه، الذي أشار بالقول: "**صرخت والدته عندما رأتهما لأول مرة، إذ لم يكن قادرًا على المشي معظم طفولته**"(3). لذا كانت والدته تحمله أينما ذهب، وقد جلبت ورشة العمل التي تديرها العائلة ما يكفي من المال لتغطية تكاليف ثلاث عمليات جراحية، كانت جميعها ناجحة جزئيًا على الأقل، وحين بلغ سن الثانية عشرة، صار قادرًا على المشي من دون استعمال العكاز، أما التحدي الآخر الذي واجهه سدني غوتلب في سنوات حياته الأولى هو التأتأة، الأمر الذي عرضه للمضايقة من بعض الطلبة ولاسيما خلال سنوات دراسته الثانوية، لكن سدني غوتلب عمل على التخلص منها وسعى إلى التفوق على زملائه في المدرسة (4).

بعد تخرجه من جامعة جيمس مونرو عام ١٩٣٦، التحق سدني غوتلب، على غرار أبناء وبنات المهاجرين الطموحين في نيويورك، بكلية المدينة (City College)، المعروفة آنذاك بـ"هارفارد البروليتاريا"، لما قدّمته من تعليم مجاني ممتاز. وقد درس فيها اللغة الألمانية، وحصل على درجات عالية في الرياضيات والفيزياء والكيمياء. كما التحق بدورتين

في الخطابة، بهدف مساعدته على التغلب على تلعثمه: إذ درس "العرض ومبادئ الكلام" و"الخطابة". كما التحق بدورة موسيقية [5].

لم تكن كلية المدينة التي درس فيها سدني غوتلب تُقدم دورات في علم الأحياء الزراعي، وهو المجال الذي رغب سدني في دراسته. فقرر الانتقال إلى جامعة تُدرّس هذا المجال. فوقع اختياره على جامعة ويسكونسن، التي كانت تُقدم برنامجًا دراسيًا مرموقًا، فكتب إليها يستفسر عن إمكانية التحاقه بالجامعة، ثم تلقى ردًا موجزًا وديًا، مؤرخ في الرابع والعشرين من شباط 1937، انتهى بـ: "**سأكون سعيدًا بمساعدتك بأي طريقة ممكنة**"، وكان الردّ مُوقّعًا من قِبل إيرا بلدوين (Ira Baldwin)، العميد المساعد لكلية الزراعة [6].

وبهدف دراسة بعض المواد التي تُؤهله للالتحاق بجامعة ويسكونسن، التحق سدني غوتلب بكلية أركنساس بوليتكنيك، التي تُعرف الآن بجامعة أركنساس التقنية. والتي درس فيها العديد من المواد التي كان يرغب بدراستها، إذ درس علم النبات العام، والكيمياء العضوية، وحفظ التربة، ومبادئ صناعة الألبان. وقد أدى نجاح سدني غوتلب في جامعة أركنساس إلى حصوله على الجائزة التي سعى إليها، ألا وهي القبول في جامعة ويسكونسن. وقد رحّب به بالدوين، وأصبح مرشده، على امتداد عامين دراسيين بعد أن تخصص في علم الكيمياء، وكان عنوان بحثه للتخرج "دراسات على حمض الأسكوربيك في البازلاء"، وفي عام ١٩٤٠، تخرج بامتياز مع مرتبة الشرف. وقدّم له بالدوين توصية كانت مُشجّعة لسدني غوتلب، فعلى الرغم من أنه أشار إلى وجود "إعاقته الطفيفة في الكلام"، لكنه أشاد بذكائه وشخصيته. وأكد بالقول أن "**السيد غوتلب شاب يهودي من الطراز الرفيع. لقد تأقلم بسهولة مع الظروف التي وجدها هنا، وأعتقد أنه يحظى عمومًا بإعجاب واحترام زملائه. يتمتع بعقلية فذة، وصادق وموثوق به تمامًا، ومتواضع وبسيط**" [7]. ويبدو أن هذا الاطراء لم يكن بسبب تمتعه بمميزات علمية وشخصية فقط، بل بسبب ديانته اليهودية التي روج لها لتكون بمثابة هوية شخصية، تحضى بتعاطف ودعم داخل المجتمعات الغربية.

من جانب آخر، ونتيجة لتأثره بالظروف التي عاشها في ورش العمل التي طغى عليها الاستغلال في نيويورك، ولاسيما تلك التي يملكها والده، انضم إلى فرع رابطة الشباب

الاشتراكيين (Young People's Socialist League) التي كان لها بعض النشاطات داخل الحرم الجامعي [8].

لقد تضافر تفوق سدني غوتلب في الجانب الدراسي، إضافة إلى توصية بلدوين لتأمين قبوله في الدراسات العليا بمعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا. الذي درس فيها لمدة ثلاث سنوات، حتى تخرج في حزيران 1943، وحصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء الحيوية (Biochemistry). وفي أثناء تلك السنوات، تغيرت حياته بشكل جذري، ولاسيما بعد التقى بامرأة تختلف كثيرًا عن أي شخص كان من الممكن أن يعرفه في برونكس، تدعى مارغريت مور (Margaret Moore) (1919–2011)، وهي ابنة واعظ مشيخي، وُلدت ونشأت في الهند، عندما كان والدها يبشر بالمسيحية، لكنها تمردت على روح التبشير منذ صغرها. وعندما التقى بها سدني غوتلب، لم يكن بينهما الكثير من القواسم المشتركة الظاهرة، بل قد يُنظر إليهما على أنهما متناقضان تمامًا. ومع ذلك، فقد كانا يشتركان في قلق روحي، ولاسيما بعد أن أصبح سدني غوتلب غير ملتزم كثيرًا بالتعاليم اليهودية التي اعتنقها في طفولته، وبشكل عام كان كلاهما يسعان إلى فهم للحياة بشكل يتجاوز ما يقدمه الدين لهما من تفسيرات [9].

كان زفاف سدني غوتلب ومارغريت مور دليلًا على تجاهل الزوجين للتقاليد، إذ تم في حفل مدني بسيط ومن دون حضور ضيوف أو احتفال، وفي هذا الصدد كتبت مارغريت: "**الزواج بين شخصين وليس بين حشد كبير**". وقد قبل والدا العروس المعتادان على استقلاليتها هذا الزواج بسعادة، وكتبت والدتها لأقاربها بعد سماع الخبر: "**كنا متحمسين للغاية لتلقي البرقية في السابع عشر من أيلول 1942، والتي تُخبرنا بزواج مارغريت من سدني غوتلب في السادس عشر من الشهر نفسه** [10]".

أمّا الموقف المهم الآخر الذي عاشه سدني غوتلب في تلك المدة؛ هو رفضه من قِبل نظام الخدمة الانتقائية (Selective Service System) (SSS). الخاص بالتجنيد العسكري، فعندما كان في منتصف سنوات دراسته العليا، وقع الهجوم الياباني على بيرل هاربر [11]، الأمر الذي أدى إلى دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية

الثانية، وحينها ترك العديد من الطلاب دراستهم وتطوعوا للخدمة العسكرية، لكن سدني غوتلب بقي في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا حتى حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٤٣. ثم سعى للتجنيد، لاعتقاده بأن الانحراف الذي يعاني منه في قدميه لا يستدعي رفضه، بيد أنّ وكالة الخدمة الانتقائية رفضت تطوعه، وفي هذا الصدد أشار بالقول: "**عندما رفضني الجيش، شعرت بالإحباط... أردت أن أساهم في المجهود الحربي، وشعرت أن من واجبي الخدمة، لكنني لم أستطع إقناع أحد بأن أدائي لن يُعيقني**". وبعد أن حُرم سدني غوتلب من فرصة الانضمام إلى الجيش وارتداء الزي العسكري كما كان يتمنى، عزم على إيجاد طريقة أخرى لخدمة مصالح بلاده [12].

في خريف عام ١٩٤٣، انتقل سدني غوتلب وزوجته مارغريت إلى مدينة تاكوما في ولاية ميريلاند، للعمل في احدى المؤسسات المعنية بالبحث عن التركيب الكيميائي للتربة العضوية التابعة لوزارة الزراعة، ثم انتقل بعد ذلك إلى مديرية الغذاء والدواء، وبدأ بتطوير أبحاثه واجراء اختبارات لقياس نسب الأدوية في جسم الإنسان. وحصل في عام ١٩٤٨، على وظيفة جديدة في المجلس الوطني للبحوث (National Research Council)، وهو جزء من الأكاديميات الوطنية للعلوم والهندسة والطب، والتي درس فيها موضوعات عدة؛ مثل أمراض النبات ومبيدات الفطريات، وبدأ بالاطلاع على بعض الدراسات المهمة، ولاسيما الدراسات المتعلقة بالمهلوسات وقلويدات الإرغوت وتأثيرها على الأوعية الدموية. وبعد ذلك بوقت قصير؛ أصبح باحثًا كيميائيًا مشارك في جامعة مريلاند، وكرس نفسه لدراسة الأيض (التمثيل الغذائي) للفطريات [13].

2- سعي أجهزة المخابرات الأمريكية للاستحواذ على التقنيات العلمية الألمانية واليابانية.

أفاد العديد من الضباط الأمريكيين الذين عملوا في قسم المخابرات العسكرية(Military Intelligence) (القسم 8)(MI-8) ومكتب الخدمات الاستراتيجية (Office of Strategic Services)[14]، على الصعيد المهني بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، إذْ اطلعوا على الأساليب التي استعملها الضباط النازيون في التحقيقات، بعد

حصولهم على وثائق خاصة بطرائق وأساليب الاستجواب التي اتبعها محققو قوات الأمن الخاصة (SS) (Schutzstaffel) أو (ذو القمصان السوداء)، وضباط الغستابو (Gestapo) [15]، وما تتضمنها من عمليات تعذيب لنزع الاعترافات من المتعقلين، إضافة إلى ذلك، فقد اضطلعوا بأحد أهم العمليات السرية، التي نفذتها السلطات الأمريكية في المناطق التي خضعت إلى سيطرتها في ألمانيا، وذلك حينما حصلت محطة مكتب الخدمات الاستراتيجية في فيسبادن والمخابرات العسكرية، على معلومات أفادت بقيام السلطات السوفيتية، بالبحث عن العلماء الألمان، وورود معلومات أخرى من الناجين من معسكرات الاعتقال الألمانية، الذين أفادوا بخضوع العديد من زملائهم في معسكرات الاعتقال، لتجارب سريرية على يد عددٍ من الأطباء الألمان [16]، وعليه اطلقت السلطات الأمريكية في برلين، العملية السرية التي عرفت باسم "**عملية سلّة القمامة**" (Operation Dustbin)، التي هدفت إلى معرفة ما توصل إليه أطباء المعسكرات الألمانية في تجاربهم، وفي سياق العملية، تم اعتقال الطبيب كورت بلوم (Kurt Blome) [17]، في السابع عشر من أيار 1945، وهو من أهم أطباء المعسكرات النازية، لذا تدّخل مكتب المخابرات العسكرية، للحيلولة من دون إدانته في محاكمات نورمبرغ (Nuremberg trials) [18]، مقابل الإفادة من خبرته والحصول على خدماته، وقد تم ترتيب إجراءات مماثلة مع عددٍ كبير من العلماء الألمان، بغض النظر عن طبيعة ارتباطهم بالنظام النازي، أو تورطهم بجرائم ضد الإنسانية، وقد حصل ذلك في سياق عملية واسعة، عرفت باسم "**عملية مشبك الورق**" (Paper clips Operation)، والتي تم بموجبها جلب أكثر من (1600) عالم ومهندس وفني ألماني وبتخصصات متنوعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بدءًا من أواخر أيار 1945، في حين تمكن الاتحاد السوفيتي من جلب (2000) مختص ألماني تقريبًا، في مجالات علمية متنوعة[19].

وقدر تعلق الأمر بموضوع استخدام التقنيات التي استخدمها الألمان في نزع الاعترافات من المعتقلين عبر استخدام تقنيات وعقاقير معينة أو تركيبات كيمياوية من شأنها التأثير في الشخص المستهدف، فقد كان لليابانيين نصيبٌ من هذه المسألة، ففي الأشهر

التي تلت استسلام اليابان لقوات الحلفاء في الخامس عشر من آب 1945، أخبر العديد من الضباط اليابانيين الأسرى المحققين الأمريكيين أن اليابان حافظت على برنامج سري للحرب الجرثومية. وتحدثوا عن اختبار سموم على بشر في قاعدة سرية تعرف بإسم (الوحدة 731) (Unit 731)، في منطقة منشوريا الصينية التي احتلتها اليابان عام 1931[20]، وقد أُحيلت تقارير تلك الاستجوابات إلى مختبرات الحرب البيولوجية في معسكر ديتريك (Fort Detrick) بولاية ميريلاند. الأمر الذي دفع العلماء الأمريكيون للضغط على القيادات الأمريكية، بهدف الحصول على بيانات من كورت بلوم وأطباء آخرين خدموا النازيين، عن معلومات حول أنشطة (الوحدة 731). واكتشفوا أن الجراح في الجيش الإمبراطوري الياباني الذي أدار (الوحدة 731) هو اللواء شيرو إيشي (Shirō Ishii) (1892–1959) وطلبوا من فيلق مكافحة التجسس العثور عليه، تمامًا كما عثروا على بلوم في ألمانيا، وكانت الخطة تقضي بإبعاده عن أيدي السوفييت، ثم ضمان ولائه وذلك بإنقاذه من المشنقة [21].

لقد اتضحت طبيعة عمل (الوحدة 731) منذ بدء المباشرة بالعمل، إذ أشار إيشي للعاملين معه بالقول:" **إن مهمتنا الإلهية كأطباء هي تحدي جميع أشكال الكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض، وسد جميع الطرق أمام تسللها إلى الجسم، والقضاء على المواد الغريبة الموجودة في أجسامنا، وابتكار أفضل العلاجات الممكنة**"[22]، ثم أضاف قائلًا إن "**العمل البحثي الذي سنشرع فيه الآن هو النقيض التام لتلك المبادئ**"، وعليه بدأ الجنود اليابانيون في ملاحقة "قطاع الطرق" وغيرهم من المشتبه بهم في الأرياف والجنود الأسرى الصينيين والثوار المناهضين لليابان، والمجرمين العاديين، والمرضى النفسيين، وسلموهم على دفعات إلى (الوحدة 731)، فبين عامي 1936 و1942، تلقى إيشي ما لا يقل عن ثلاثة آلاف منهم، فيما ترجح بعض المصادر أن العدد يصل إلى اثني عشر ألفًا من هذه "الجذوع"، كما كان يسميها هو ورفاقه. وقد سعى إيشي إلى معرفة كل ما هو ممكن عن كيفية استجابة أجسام الأشخاص الخاضعين للتجارب السريرية لأشكال مختلفة من الإيذاء الشديد، والتي كان مصيرها جميعًا؛ الموت بطريقة مروعة، إضافة الى عمليات تشريح حيّ بطريقة يكاد يكون من المستحيل تصورها، ولاسيما المعتقلين الذين تعرّضوا للغاز

السام لاستخراج رئاتهم ودراستها لاحقًا؛ وإحراقهم ببطء باستعمال الكهرباء لتحديد الفولتية اللازمة لإحداث الموت؛ وتعليق الرؤوس على عقب لدراسة تطور الاختناق الطبيعي؛ والحبس في غرف ضغط عالٍ حتى تفقأ أعينهم، والحقن بالجمرة الخبيثة والزهري والطاعون والكوليرا وأمراض أخرى، والربط على أوتاد خشبية وحرقهم من قِبل الجنود اليابانيين لاختبار قاذفات اللهب؛ والتجميد ببطء لمراقبة تطور انخفاض حرارة الجسم، وحقن الجسم بالهواء او دم الحيوانات في أوردة الضحايا لمعرفة مدى تأثيره، فيما بُترت أطرافهم ومراقبة موتهم البطيء بفعل النزيف والغرغرينا. وفقًا لتقرير للجيش الأمريكي، رُفعت عنه السرية لاحقًا، الذي أشار بربط مجموعات من الرجال والنساء والأطفال بأوتاد بحيث "تُعرى أرجلهم وأردافهم وتُعرّض لشظايا قنابل الجمرة الخبيثة التي تفجر على بُعد أمتار عنهم"، لمعرفة مدة بقاءهم على الحياة والتي لم تتجاوز أسبوعًا واحدًا. وقد احتاج إيشي إلى تدفق مستمر من الأعضاء البشرية، إذ لم يقتصر الأمر على الصينيين فحسب، بل شمل أيضًا الكوريين والمنغوليين، ووفقًا لبعض التقارير التي حصل عليها الجيش الأمريكي في اليابان؛ كان علماء الأحياء الدقيقة في فريق إيشي يأخذون عينات الأنسجة بدقة بعد كل تجربة، ويضعونها على شرائح لدراستها، كما استخدم الفنيون في (الوحدة 731) أبحاثهم لإعداد أنواع من الشوكولاتة المسمومة والعلكة، بالإضافة إلى دبابيس الشعر وأقلام الحبر المُزوّدة بإبر مُغطاة بالسموم لاستخدامها في عمليات الاغتيال، وتربية براغيث موبوءة بالطاعون، وتصنيع أطنانًا من الجمرة الخبيثة التي وُضعت في أغلفة قنابل، واستُخدمت لقتل آلاف المدنيين الصينيين[23].

تنفيذًا لأوامر سلطات الاحتلال الأمريكي في اليابان، وبناءً على توجيه من فيلق مكافحة التجسس، عُثر ضباط الشرطة اليابانيون على إيشي في مسقط رأسه، واعتقل في السابع عشر من كانون الثاني 1946، ونُقل إلى طوكيو. وعلى امتداد شهر تقريبًا، جلس بشكل طوّعي وغير رسمي لإجراء مقابلات مع أحد علماء معسكر ديتريك. وأكد فيها على ضرورة ألا تقع بعض سجلات (الوحدة 731) في أيدي الروس، ولم يعترف بأي جرائم. وأصر على أن (الوحدة 731) لم تنشر حُمّى الطاعون في الصين، وأن تجاربها على السموم أُجريت فقط على حيوانات المختبر، غير أن المحققين في قسم المخابرات العسكرية

شكوا في ذلك، بناءً على تقارير وصلتهم من قدامى المحاربين والأسرى من (الوحدة 731)، والتي أفادت بأنه أشرف على تجارب قُتل فيها آلاف الأشخاص، لذا وضعوا إيشي امام خيارين؛ اذ أشاروا عليه بالقول: "**أخبرنا ببعض ما تعرفه على الأقل، وستكون رصيدًا ثمينًا يستحق الحماية؛ أو التزم الصمت، وستُخاطر بالاعتقال من قِبل السوفييت وربما حكم الإعدام... إن الأمريكيون مهتمون بـ "المعلومات التقنية والعلمية... وليس بجرائم الحرب**". فأجابهم: "**إذا منحت حصانة لنفسي ولرؤسائي ومرؤوسي، فسأتمكن من الحصول على جميع المعلومات لك... أود أن توظفني الادارة الأمريكية بوصفي خبيرًا في الحرب البيولوجية**"[24].

كان لدى كلا الجانبين مبررًا للوصول إلى هذا الاتفاق؛ إذ أن إيشي كان على علم أنه سيواجه المحاكمة، وربما الإعدام إذا رفض التعاون، فيما أراد علماء معسكر ديتريك معرفة ما يعرفه، واندفعوا بإحساسٍ طغى على أي شكوكٍ أخلاقية قد تكون لديهم، وبناءً على طلبهم؛ أصدرت القيادة العليا لقوات الحلفاء، بقيادة اللواء دوغلاس ماك آرثر (Douglas MacArthur)(1880-1964)، الذي شغل منصب قائد قوات الحلفاء خلال الاحتلال الياباني بين عامي 1945 و1951، وبشكل سري المبدأ القائم على إن قيمة بيانات الأسلحة البيولوجية اليابانية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وما يتعلق بأمنها القومي، اعلى بكثير من قيمة مقاضاة جرائم الحرب، وعليه تم تطبيق هذا المبدأ على إيشي ورفاقه، فكان على ماك آرثر التحرك بسرعة لأن المحكمة العسكرية الدولية للشرق الأقصى كانت على وشك بدء محاكمتها التاريخية لمجرمي الحرب اليابانيين المشتبه بهم، فوقّع مرسومًا سريًا يمنح العفو لإيشي وجميع من عملوا معه في (الوحدة 731)، وعلّل ماك آرثر ذلك بقوله: "**ربما يُمكن الحصول على تصريحات من إيشي بإبلاغ اليابانيين المعنيين بأن المعلومات ستُحفظ في قنوات الاستخبارات، ولن تُستخدم كأدلة على جرائم حرب**"[25]. وهكذا أفلت الرجل المسؤول عن تشريح آلاف السجناء الأحياء خلال الحرب، إلى جانب من عملوا معه، من العقاب. لكن على عكس نظرائهم الألمان، لم يُنقلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية. بل وُضع العلماء اليابانيون في مختبرات ومراكز احتجاز في شرق آسيا. وهناك، ساعدوا

الأمريكيين على تصميم وتنفيذ تجارب على البشر، وهي تجارب لا يُمكن إجراؤها قانونيًا في الولايات المتحدة. وخلصت دراسة أكاديمية إلى أن اعتبار ذلك مجرد عنصرية لا يُفسر بشكل كافٍ سبب عدم نقل إيشي وزملائه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لأنها لم تكن مستعدة سياسياً أو هيّكلياً لوصول العلماء اليابانيين، فقد كانت هناك الكثير من الحواجز التقنية والثقافية التي كان من الصعب تجاوزها، وبمجرد أن حصل إيشي على الحصانة من مقاضاة جرائم الحرب، بدأ يُقلب صناديق الوثائق التي كانت مليئة ببيانات قيّمة وفريدة حول مدى تأثير السموم المختلفة على جسم الإنسان وكيفية انتشارها، ومستويات الجرعات الأكثر فعالية في القتل. ثم أرشد إيشي الأمريكيين إلى المعابد والملاجئ الجبلية التي أخفى هو ورجاله خمسة عشر ألف شريحة مجهرية مع اقتراب الحرب من نهايتها، وقد احتوت كل شريحة على عيّنة من أنسجة الكلية أو الكبد أو الطحال أو عضو آخر تعرض لصدمة قاتلة. وقد أُرسلت الشرائح إلى معسكر ديتريك، وقد أفاد العلماء الأمريكيون بأنها أكملت وعززت بشكل كبير، الأبحاث الأمريكية في مجال الحرب البيولوجية، وتراكمت معلومات تتعلق بقابلية الإنسان للإصابة، إذ لم يكن من الممكن الحصول على هذه المعلومات في مختبرات معسكر ديتريك، بسبب الشكوك المرتبطة بالتجارب البشرية [26].

لقد حصلت مكاتب المخابرات في الجيش الأمريكي على معلومات مهمة بشأن أنشطة كورت بلوم وشيرو إيشي، لذا سخرت كل طاقتها للإفادة من الخبرات التي تمتعا بها، ونقلها إلى العلماء والمختصين الأمريكيين، ولاسيما بعد أن توصلت إلى معلومات تفيد، بأن كورت بلوم وشيرو إيشي على دراية بعمل بعضهما البعض في أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية، وقد أعجبا به وشجعا بعضهما البعض، فقد كانت تصاميم مراكز التعذيب الطبية التي أنشأها متشابهة بشكل ملحوظ، وعندما ضغط علماء من معسكر ديتريك لمنع محاكمة إيشي، توجب عليهم إيجاد طريقة لإنقاذ الطبيب الألماني كورت بلوم، لكن إنقاذه كان أكثر صعوبة، فقد شغل مناصب بارزة في النظام النازي، كما أن جرائم النازية كانت معروفة جيدًا، ففي الوقت الذي كان من الممكن إخفاء (الوحدة 731) أو التغاضي عنها لأنها عملت في منشوريا النائية، كانت معسكرات النازية في قلب أوربا، كذلك إن نظام معالجة قضايا

مجرمي الحرب المشتبه بهم في ألمانيا كان أكثر تنظيمًا، ومن الصعب التلاعب بها مقارنة بالوضع في اليابان، لذا ركز علماء معسكر ديتريك على تأمين تبرئته، إذ قدم بلوم دفاعًا قويًا، فقد خاطب المحكمة بلغة إنجليزية فصيحة، وركّز على نقطتين. أولًا: أصرّ على أنه على الرغم من وجود أدلة ظرفية كثيرة ضده – بما في ذلك رسالة من قائد قوات الأمن الخاصة هاينرش هملر (Heinrich Himmler) يأمره فيها بتوفير السم لـ"معاملة خاصة" للسجناء – ولم يتم العثور على شهود يشهدون بأنه كان قد نفّذ بالفعل الفظائع التي كتب عنها، أو ناقشها، أو أُمر بتوجيهها. ثانيًا: استشهد بمقالٍ نشرته مجلة لايف يصف دراسة أجراها الجيش الأمريكي، أُصيب على إثرها سجناء في سجن يقع بولاية إلينوي بالملاريا، وجادل بأن هذه التجارب، وغيرها من التجارب التي أجراها أطباء أمريكيون في السجون، لا تقلّ انحرافًا عن الأخلاق عن تجاربه، ولم تكن شهادة بلوم وحدها ما دعم قضيته. فقد أُبلغ ضباط الجيش الأمريكي المشاركون في "محاكمة الأطباء" برغبة العلماء في معسكر ديتريك في حمايته سرًا، حتى صدرت الأحكام في 27 آب 1947. وحُكم على سبعة من المتهمين بالإعدام شنقًا، وحُكم على تسعة آخرين بالسجن، أما بلوم فكان ضمن مجموعة ضمت سبعة متهمين آخرين تم تبرئتهم، وقد أشار القضاة إنهم يشتبهون في أن بلوم أشرف على تجارب على البشر، لكنهم لم يجدوا دليلًا قاطعًا على ذلك[27].

وبعد مضي اثنين وأربعين يومًا على تبرئة بلوم، تلقى قائد الفيلق الكيميائي (Chemical Corps) في الجيش الأمريكي رسالةً من فيلق مكافحة التجسس في ألمانيا تفيد بأن: "**الدكتور كورت بلوم متاحٌ الآن للاستجواب بشأن مسائل الحرب البيولوجية**"، وعلى الفور تم ارسال فريقٍ من علماء معسكر ديتريك إلى بلوم، وقد تردد في مناقشة تجاربه على البشر ثم اصبح أكثر تعاون، ففي إحدى الجلسات ذكر أنه حقق في عملية للمقاومة البولندية، قتلوا فيها أكثر من اثني عشر ضابطًا من قوات الأمن الخاصة (SS) برش جراثيم التيفوئيد، وبدا أن العملية نفذت باستعمال قلم حبر، مما أثار ذلك فضول المحققين الأمريكيين الذين استجوبه، وقد أشارت بعض المصادر أن بلوم أشار لهم في اثناء استجوابه بالقول: "**أحضروني إلى أمريكا، وسأُحدث ثورة في برنامجكم للحرب البيولوجية**"[28].

وهكذا نجحت الإدارة الأمريكية في الاستحواذ، على عالمين وظفا قدراتهم العقلية في أبحاث لا تتحدد بالقيم الإنسانية وتتجاوز الحقوق التي من الواجب أن يتمتع بها الجنود الأسرى والمدنيين التي كفلتها القوانين والأعراف الدولية، بما يخدم مصالح الإدارة الأمريكية، ولاسيما في فرض هيمنتها الدولية في المستقبل.

3. انضمام سدني غوتلب إلى (CIA) ودوره في تطوير عملياتها الخاصة.

اعتقد العديد من الأمريكيين الذين خدموا في الجيش ووكالات المخابرات في أثناء الحرب العالمية الثانية، ان الحرب لم تنتهِ، لاعتقادهم بأن كل ما تغير هو "العدو"، وأن الاتحاد السوفيتي، والصين بعد عام ١٩٤٩، قد أخذا الدور الذي أدته ألمانيا النازية واليابان، فيما بدأت بعض الدوائر السياسية والأمنية في الاعتقاد، تحذر من مخاطر التهديد السوفيتي، وفي هذا الصدد وضح التقرير السري الذي قدمه وليم دونوفان (William Donovan) [29] مدير مكتب الخدمات الاستراتيجية، إلى الرئيس هاري ترومان (Harry Truman)، في مطلع آيار 1945، حول نوعية الأساليب التي يكن استعمالها ضد الخطر السوفيتي[30]، وعلى الرغم من وجود العديد من التحذيرات الصريحة التي رفعت الى الإدارة الأمريكية، إلا أن الرئيس ترومان قرر في حزيران عام ١٩٤٥، إلغاء مكتب الخدمات الاستراتيجية، لاعتقاده أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست بحاجة إلى وكالة مخابرات سرية في زمن السلم. وبعد عامين غيّر رأيه ووقع قانون الأمن القومي (National Security Act) [31]، الذي أنشأت بموجبه (CIA) (Central Intelligence Agency) [32]. وقد صيغ هذا القانون بشكل فضفاض؛ إذ خوّل (CIA) بالقيام "بمهام وواجبات تتعلق بالاستخبارات التي تؤثر على الأمن القومي"، واستخدام "**جميع الأساليب المناسبة**" في تحقيق هذا المسعى[33].

انطلقت أولى عمليات (CIA) السرية في أوربا، حين بلغت الحرب الباردة (The Cold War [34] ذروتها، ففي عام ١٩٤٧، استأجر ضباطها عصابات كورسيكا لفض إضراب قاده الشيوعيون في ميناء مرسيليا. وفي العام التالي، شنت حملة ناجحة لمنع الشيوعيين من الفوز في الانتخابات الوطنية في إيطاليا. وأرسلت جواسيس ومخربين وفرق

كوماندوز إلى الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية. حتى جاءت الصدمة المفاجئة لـ (CIA) من بودابست، والتي أثارت مخاوف لدى ضباطها – وعلماء معسكر ديتريك – ودفعتهم إلى اتخاذ مسار جديد في عملياتهم وضرورة تطوير اليات تنفيذها، ففي الثالث من شباط 1949، مَثَلَ الكاردينال جوزيف ميندسينتي (Joseph Mindszenty)، الأسقف الكاثوليكي الروماني في المجر، أمام محاكمة صورية، واعترف بتهمٍ مُبالغٍ فيها، منها محاولة الإطاحة بالحكومة، وإدارة مخططاتٍ لتداول العملات في السوق السوداء، والسعي إلى سرقة التاج الملكي كجزءٍ من مؤامرةٍ لإعادة تأسيس الإمبراطورية النمساوية– المجرية. كما اعترف ميندسينتي الذي عُد معارضًا لنظام بودابست الموالي للسوفيت، بجرائم لا يمكن أن يكون قد ارتكبها، فقد بدأت تصرفاته غريبة فعلاً في أثناء المرافعات، إذْ راح يتكلم ويتحرك بشكل غريب وبطريقة توحي أن أفعاله تمت عبر السيطرة عليها، الأمر الذي دفع محلّلي (CIA) إلى التساؤل عن احتمالية إخضاعه لنوع جديد من التحكم النفسي، أو إعطائه أدوية معيّنة، لا يعرفها الأطباء والمختصون النفسيون في (CIA) ولا وعلماء معسكر ديتريك، وهذا ما اعتقده مسؤولوها، لذا بدأوا بمتابعة سلسلة من المحاكمات الأخرى التي جرت في الاتحاد السوفيتي، ولاسيما بعد أن حُكم علي ميندسينتي بالسجن المؤبد[35].

فيما كان ردّ فعل كبار الضباط في (CIA) مختلفًا، فقد ركزوا على سلوك ميندسينتي أثناء محاكمته، التي بدا فيها مرتبكًا وتحدث بنبرةٍ رتيبةٍ، إذ اعتقدوا أنه اعترف بجرائمٍ من الواضح أنه لم يرتكبها، ومن الواضح أنه أُكره ، فأثير التساؤل داخل اروقة (CIA)، هل من الممكن يحدث ذلك؟ فبدت الإجابة واضحةً بشكلٍ خطير، بأن السوفييت قد طوّروا عقاقير أو تقنياتٍ للتحكم في العقول تُمكّن الناس من قول أشياء لا يُصدّقونها، وعلى الرغم من عدم وجود أي دليلٍ على ذلك، ورجحت العديد من المصادر، إلى أن ميندسينتي قد تعرض لأساليب تقليدية مثل سوء المعاملة، والعزل المُطوّل، والضرب، والاستجواب المُتكرر، بيد أن الخوف من أن يكون الشيوعيون قد اكتشفوا أداةً نفسيةً جديدةً فعّالة، هو ما جعل هذه الحادثة تشكل صدمةً في (CIA)[36].

وفي نيسان عام 1949، تم تشكيل فريق سري ضم مجموعة من العلماء في معسكر ديتريك عرف باسم قسم العمليات الخاصة (Special Operations Section)، لإجراء أبحاثًا حول طرق استخدام المواد الكيميائية كأسلحة سرية، وقد وصفه أحد أوائل العلماء الذين انضموا إلى القسم الجديد بأنه "**ديتريك صغير داخل ديتريك... لم يكن معظم الناس على دراية بما يجري في العمليات الخاصة**"، وذلك لان الاستخدام القسري للمخدرات كان مجالًا جديدًا، إذ توجب على علماء العمليات الخاصة تحديد كيفية بدء أبحاثهم، لذا واجه ضباط (CIA) في أوربا تحديًا موازيًا، فقد اعتقل عملاء سوفييت مشتبه بهم، والبحث عن أساليب استجواب يمكن عن طريقها كشف أسرار تتعلق بالقدرة على السيطرة على العقول(37).

من جانب آخر، وصلت معلومات إلى واشنطن في نهاية عام ١٩٤٩، كانت على قدر بالغ من الأهمية، عندما أبلغ ضابط في الفيلق الكيميائي؛ المدير الفني للمختبرات الكيميائية والإشعاعية في الجيش الامريكي ولسن غرين (Wilson Greene)، أن عددً من الكيميائيين في شركة ساندوز السويسرية المتخصصة بالعقاقير، اكتشفوا عقارًا جديدًا له القدرة على التسبب في الهلوسات الشديدة، الأمر الذي دفع غرين إلى جمع كل المعلومات التي استطاع الحصول عليها بشأن هذا الموضوع، ثم أعد تقريرًا مطولًا حمل عنوان "الحرب النفسية الكيميائية: مفهوم جديد للحرب". وقد ختم غرين تقريره بتوصية دعا فيها بأن تبدأ الإدارة الأمريكية بإجراء اختبارات منهجية على عقار (ال أس دي) (LSD) (Lysergic acid diethylamide)، وستين مركبًا آخر لها القدرة على التأثير في العقل، والتي قد تُستخدم كأسلحة ضد ما وصفهم بـ (الشعوب المعادية)، وأضاف غرين قائلًا: "**ستضعف إرادتهم على المقاومة بشكل كبير، إن لم تُدمر بالكامل، بفعل الهستيريا والذعر الجماعيين اللذين سينتجان عن ذلك...تشمل الأعراض التي تُعتبر ذات قيمة في العمليات الاستراتيجية والتكتيكية ما يلي: النوبات والدوار، والخوف، والذعر، والهستيريا، والهلوسة، والصداع النصفي، والهذيان، والاكتئاب الشديد، وأفكار اليأس، وانعدام المبادرة للقيام حتى بالأشياء البسيطة، والهوس بالانتحار**"(38). وقد أثار التقرير حماسة المسؤولين الأمريكيين

القلائل المسموح لهم بقراءته. وكان من بينهم مدير (CIA)، الأدميرال روسكو هيلينكوتر (Roscoe Hillenkoetter) [39] الذي تأثر بما كشفه، فطلب من الرئيس ترومان الموافقة على أبحاث الأدوية التي اقترحها غرين، وإسناد المهمة إلى (CIA). وقد وافق ترومان على ذلك، فكلّف هيلينكوتر عددًا من ضباط (CIA) بالعمل مع الكيميائيين في قسم العمليات الخاصة في معسكر ديتريك. وبموجب هذا "الاتفاق غير الرسمي"، الذي تبلور في أثناء عام ١٩٥٠، أصبح اثنان من أكثر الفرق سرية في الولايات المتحدة الأمريكية في أثناء الحرب الباردة تعملان بشكل مشترك، ففي الوقت الذي كان بإمكان العلماء العسكريين في ديتريك تصميم وتحضير جميع أنواع تركيبات الأدوية، ولكن لم تكن لديهم سلطة استخدامها في العمليات، أما (CIA)، كانت على النقيض من ذلك، إذ تعد وكالة عمليات وكان ضباط هيئة الخدمات التقنية التابعة لها، يبحثون عن أدوية يمكن استخدامها لتخفيف حدة التوتر، وإضعاف المقاومة البشرية، وجعل العقل خارج نطاق السيطرة، وبموجب "الاتفاق غير الرسمي"، بدأ العلماء الذين صنعوا عقاقير نفسية بالعمل مع محققي (CIA) الذين استخدموها على السجناء، وقد شمل هذا البرنامج المشترك، والذي سُمي لاحقًا بإسم رمزي سري (MK-NAOMI)، ورمزه المختصر (MK)؛ المشاريع التي أدارها موظفو الخدمات التقنية (Technical Services Staff)، الذين طوّروا ترسانة كاملة من المواد السامة ليتسى لعملاء (CIA) إستعملها، ولاسيما عقار البوتولينوم (Botulinum) السام والمستخدم في عمليات الاغتيال، والذي تتراوح مدة حضانة الجسم له بين (8–12 ساعة) [40].

ازداد اهتمام ضباط (CIA) بالطرق التي يُمكن بواسطتها استعمال العوامل الكيميائية والبيولوجية للسيطرة على عقول الأفراد. ففي نيسان عام ١٩٥٠، اتخذ مدير الوكالة، روسكو هيلينكوتر، الخطوة التالية في هذا البحث، وذلك عندما أصدر مرسومًا بإنشاء برنامج جديد من شأنه أن يرتقي بسعي (CIA) لتطوير تقنيات التحكم في العقول إلى مستوى جديد، وقد أُطلق على البرنامج الاسم الرمزي "بلوبيرد" (Bluebird)، وترجح المصادر أنه اسم مستعارًا طرح أحد الضباط الحاضرين في اجتماعات الوكالة، وذلك حين وصف هدفه بإيجاد طرق لجعل السجناء "يُغرّدون كالطيور". وقد نصّت إحدى بنود برنامج

"بلوبيرد" على أن تكون التجارب "واسعة النطاق وشاملة، إذ شملت أنشطة محلية ودولية". فيما أكد بند آخر بأن أفضل المواضيع سيكون السجناء، ولاسيما "المنشقون واللاجئون وأسرى الحرب وغيرهم". وتهدف التجارب، وفقًا لمذكرة ثالثة، إلى "التحقيق في إمكانية السيطرة على شخص ما عن طريق تطبيق تقنيات الاستجواب الخاصة"، وتقتضي الإشارة هنا إلى أن هذا المشروع، عد أول مشروع بحثي للسيطرة على العقل، والذي أُوكل إلى مكتب أمن التابع لـ (CIA)، وقد شكلت الحرب الكورية (1950–1953) سببًا آخر لتسريع العمل به، ولاسيَّما بعد أن وجدت (CIA) أن (15%) من سجناء الحرب الأمريكيين، قد تعاونوا مع المحققين الصينيين في أثناء استجوابهم، فيما وقع (70%) منهم على اعترافات يقرون فيها بانه ارتكبوا جرائم حرب ويدينون سياسات الإدارة الأمريكية، ولعل ما أثار الشك فعلًا لدى ضباط (CIA)، أن عددًا كبيرًا منهم رفض التراجع عن هذه الاعترافات، بعد عودتهم إلى بلادهم، ومن هنا بدا الحديث بشكل علني عن عمليات "**غسيل الأدمغة**" (Brainwashing)، وهي عبارة ظهرت للمرة الأولى في آواخر عام 1950، والتي ابتكرها صحفي أمريكي عمل لصالح (CIA)[41].

طرأ بعد ذلك تغيير مهم في تاريخ (CIA)، وذلك عندما تولى اللواء والتر بيدل سميث (Walter Bedell Smith) ادارتها في تشرين الأول 1950، والذي كانت من أولى قراراته تعيين أحد الشخصيات المهمة في مكتب الخدمات الاستراتيجية، وهو ألن دلاس (Allen Dulles) [42]. الذي أُنيطت له مهمة الإشراف على العمليات السرية في (CIA)، وقد ركّز فور انضمامه للوكالة على برنامج "بلوبيرد"، إذ لم يمضِ على توليه منصبه سوى بضعة أسابيع عندما أرسل مذكرةً إلى اثنين من كبار الضباط الذين كلّفهم بالمساعدة في إدارة قسم العمليات الخاصة، وهما فرانك ويزنر (Frank Wisne) وريتشارد هيلمز (Richard Helms)، مؤرخة في 9 شباط 1951، اشار فيها: "**شرحتُ لكم إمكانيات تعزيز أساليب الاستجواب المُعتادة باستخدام المخدرات، والتنويم المغناطيسي، والصدمات الكهربائية، وما إلى ذلك، وشددتُ على الجوانب الدفاعية، فضلًا عن الفرص الهجومية في هذا المجال من العلوم الطبية التطبيقية. وقد أعدّ قسمي الطبي الملف المرفق، بعنوان**

"أساليب الاستجواب"، لتزويدكم بخلفية مناسبة." وأضاف قائلًا: "**أن هذا "التوسع" لا يمكن أن يتم إلا في الخارج لأن العديد من جوانبه "ليس مسموحًا بها من قبل حكومة الولايات المتحدة (مثل الجمرة الخبيثة وما إلى ذلك)**"، كما تضمنت مذكرات أخرى صدرت عن (CIA) في تلك المدة، والخاصة ببرنامج (بلوبيرد)، بوجوب أن يضم البرنامج أشخاصًا مؤهلين في الطب، والاستجواب النفسي، واستخدام جهاز تخطيط كهربائية الدماغ، والصدمات الكهربائية، وجهاز كشف الكذب"، والبحث في طرق "إجبار شخص ما على ارتكاب أفعال مفيدة تحت تأثير الإيحاء بعد التنويم المغناطيسي [43].

لقد كان ثلاثة من أوائل ضباط (CIA) الذين كُلِّفوا بالإشراف على بلوبيرد جزءًا من النواة الداخلية للوكالة وهم: جيمس أنغلتون (James Angleton)، وفرانك ويزنر، وريتشارد هيلمز، الذين عرف عنهم بالنشاط وامتلاكهم الكثير من الأفكار والرؤى لتطوير برنامج "بلوبيرد"، إلا أنهم أدركوا أنهم يفتقرون إلى الخلفية العلمية اللازمة للإجابة على الأسئلة المُتعددة الجوانب التي كانوا يطرحونها، لذا اتفق ألن دلاس وكبار ضباطه على أن برنامج "بلوبيرد" بحاجة إلى "النهوض"، مع تيقنهم أنهم بحاجة إلى ضخّ الخبرة والرؤية من خارج (CIA)، لذا شرع دلاس وهيلمز في تجنيد كيميائي لديه دافع للسعي وراء المعرفة المحظورة، وشخصية قوية بما يكفي لإدارة تجارب قد تتحدى او تتجاوز ضمير العلماء الآخرين، واستعدادًا لتجاهل التفاصيل القانونية خدمةً للأمن القومي، فجاء في هذا السياق، تعيين ألن دلاس للدكتور سدني غوتلب في الثالث عشر من تموز 1951، رئيسًا لوحدة الأبحاث العلمية في مكتب الخدمات التقنية (OTS) (Office of Technical Service) [44]التابع لـ (CIA)[45].

من جانب آخر، عُدَّ السجن الموجود في قناة بنما، أحد أبرز السجون الأمريكية التي مورست فيها عمليات تحقيق وممارسات خاصة على المحتجزين، فقد أجرى (CIA) في هذا السجن، تجارب على الاستجواب العنيف، مستخدمين التقنيات التي تقارب حد التعذيب والسيطرة على الذهن بواسطة العقاقير. ومع تصاعد وتيرة الحرب الكورية، استولى على ضباط (CIA) إحساس كبير بضرورة القيام بمعالجة سريعة لمشكلة التقارير المخابراتية التي

احتوت على معلومات مضللة، فتبنّت (CIA)، مشروع (الخرشوف) (Artichoke) رسميًا في العشرين من آب 1951، ووضعته تحت إدارة مكتب الخدمات التقنية، إذْ كان الهدف الأساس للمشروع، تحديد ما إذْا كان يمكن إجبار شخص قسريًا على القيام بعملية اغتيال، كما درس المشروع أيضًا التنويم المغناطيسي، والإدمان القسري للمورفين، واستخدام المواد الكيميائية الأخرى، ولاسيَّما عقار "**ل أس دي**"، واختبار إن كان بمقدوره محو ذاكرة الإنسان بالكامل(46).

وبالتزامن مع إطلاق مشروع "الخروشوف" كانت أول مهمةٍ لسدني غوتلب في (CIA) هي حضور دورةٍ لمدة ثلاثة أشهر في فنون الاستخبارات، مع ما وصفه لاحقًا بأنه "بعض الخلفيات التاريخية للاستخبارات"، وشرع في تثقيف نفسه بشكل اوسع بعد إكماله للدورة. وقد سعى إلى تطوير معرفته بأبحاث (CIA) في التقنيات الكيميائية للتحكم في العقول، والتي وجدها واعدة، الامر الذي أثار أعجاب ألن دلاس وهيلمز، اللذان وجدا في سدني غوتلب الحماس الشديد والخيال الذي عداه أمرًا ضروريًا لتحقيق كل قدرات برنامج "بلوبيرد". وقد تصرف ألن دلاس من موقع قوة متنامية، ولاسيما بعد أن رُقّي إلى المنصب الثاني في (CIA)، وهو نائب مدير المخابرات المركزية بعد ثلاثة أيام فقط من إطلاق مشروع "الخرشوف"، الأمر الذي زاد في دعم سدني غوتلب وكفل حماية ودعم تجاربه في التحكم في العقول لدى أعلى المستويات في الإدارة الأمريكية (47).

اضطلع سدني غوتلب في العديد من العمليات التقنية التي ساهمت في تطوير الوسائل التي يستخدمها عملاء (CIA) في عملياتهم، إذْ لم تنحصر الأبحاث العلّمية التي أجراها مكتب الخدمات التقنية، في القضايا المتعلقة بإنتاج العقاقير المستخدمة على الأشخاص أثناء التحقيقات فقط، بل بدأ فرع الكيمياء في مكتب الخدمات التقنية باستنباط المعادلات واختبارها، لإنتاج حبر خاص بالرسائل السرّية على شكل مادة صلبة، يوضع في حبوب صغيرة، ليتنسى لعملاء (CIA) إخفاؤها واستعمالها بسهولة. فضلا عن ذلك، فقد ساهم مكتب الخدمات التقنية تحت إدارة سدني غوتلب في نشاطات تقنية أخرى، ساعدت بشكل كبير في تطوير عمليات التجسس التي نفذتها (CIA)، كتزوير وثائق السفر وهويات

العملاء الذين يعملون تحت أسماء مستعارة، كما أحرز مكتب الخدمات التقنية تقدما ملحوظًا في مجال تطوير الأجهزة والمعدات الإلكترونية الخاصة بالتجسس، ولاسيَّما الميكروفونات والكاميرات السرّية الصغيرة، والتي يمكن لعملاء (CIA) إخفاؤها في الأثاث والحقائب اليدوية والملابس [48]. وقد ازداد استخدام (CIA) لتلك الأساليب، بعد أن قامت باستحداثه مديرية المخابرات في كانون الثاني 1952، والتي ضمت مجموعة من المكاتب، ومنها مكتب المخابرات العلمية (OSI) (Office of Scientific Intelligence)، الذي ضمَّ عددًا من العلماء الأمريكيين المختصين في العلوم الأساسية مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء والطب والفلك، وقد تحفّظ بعضهم حيال التعامل والتعاون مع (CIA) في البداية، لكنهم سرعان ما بدأوا بتقديم مساهمات للأخيرة، وذلك بعد الهجمات الإعلامية التي شنتها موسكو على العلماء الغربيين، الذين وصفتهم بخدام الرأسمالية[49].

وسّعَ سدني غوتلب معرفته بتجارب التحكم بالعقول والاستجوابات العنيفة، بعد أن قرأ أعدادًا كبيرة من التقارير الخاصة بهذا الموضع في الأشهر الأولى من انضمامه لـ (CIA)، إذ أوضحت تلك التقارير بشكل تفصيلي مختلف الوسائل التي جُرِّبت كوسائل محتملة لاختراق النفس البشرية، بما في ذلك التنويم المغناطيسي، والحرمان الحسي والصدمات الكهربائية، ومزيج متغير من المنشطات والمهدئات، وأنواع مُحسّنة من الماريجوانا، والميسكالين، والكوكايين، والهيروين، ولاسيما بعد تلقّت (CIA)، تقارير في تلك المدة، تتعلق بالنجاحات السوفيتية في مجال التحكم بالعقل، فضلاً عن القدرات المكتشفة حديثًا في بشأن موضوع غسيل الأدمغة والتجنيد وتشغيل العملاء بواسطة استخدام العقاقير، لذا توجب على غوتلب والمختصين الذين عملوا معه، توسيع ابحاثهم العلمية في عام 1953، بهدف مواجهه التقدم السوفيتي في هذا المجال، إذْ أصبح اكتشاف سر التقنيات الجديدة التي توصل إليها العلماء السوفيت، أولوية قصوى لدى (CIA)، فقد وضعت هدفًا مزدوجًا، تمثل بإيجاد مضاد للأمصال التي يستخدمها السوفيت لانتزاع المعلومات من العملاء الأمريكيين، وأمصال تستخدم مع السجناء الشيوعيين، للإدلاء بكل ما يعرفونه أثناء خضوعهم للاستجواب، وعلى الرغم من أن البحوث التي أجرتها الأقسام العملية في مكتب المخابرات العلمية على

موضوعات مشابهه في السنوات الأولى من الخمسينيات، إلا أن المعرفة الكامنة، وراء النجاحات السوفيتية المذكورة، بقيت لغزا من الألغاز، فقد احتاجت (CIA) إلى فهم (الأساس العلّمي) للتحكم بالعقل، وإجراء تجارب علمية لإثبات ذلك، فقد بدا لـ (CIA)، إن أجهزة التجسس السوفيتية، تمتلك القدرة على تغيير القدرات العقلية للشخص المستهدف والتحكم بإرادته الحرة، وذلك عن طريق استخدام مزيج من التقنيات النفسية والمركبات الكيميائية المطورة حديثًا[50].

توصل سدني غوتلب الى قناعة مفادها؛ بأن عقار (أل أس دي) له قوى وإمكانات لم تُفهم بعد، يمكن لها احداث تأثير على الدماغ بطرق قوية للغاية. ولأنه عديم اللون والطعم والرائحة، بدا مناسبًا تمامًا للاستخدام السري، ووفقًا لما ذكره أحد أطباء النفس الذين عملوا في (CIA): "**الأمر الأكثر إثارة للاهتمام فيه هو أن هذه الكميات الضئيلة كان لها تأثير هائل**". وقد بدأ سدني غوتلب بتطوير تجاربه على عقار (أل أس دي)، ولاسيما بعد أن طلب من ألن دلاس التفاوض على اتفاق رسمي يسمح له بتعميق التعاون الرسمي مع الفيلق الكيميائي التابع للجيش و(CIA)، وربط الوحدات الصغيرة فائقة السرية داخل كل مكتب لتطوير عمل مشروع "الخرشوف"، و"بموجب هذا الاتفاق الذي تم التوصل إليه مع الجيش عام ١٩٥٢، اكتسبت (CIA) المعرفة والمهارات وتسهيلات الجيش لتطوير أسلحة بيولوجية مناسبة لاستخدام (CIA)، كما منح هذا الاتفاق السري غوتلب زخمًا جديدًا، فقد لاحظ بالفعل آثار مختلف الأدوية على الأشخاص الذين تم اجراء التجارب عليهم. ومن هناك، شرع في إعطاء الأدوية بجرعات أكبر بكثير، وفي ظل ظروف أشد تعذيبًا للسجناء وغيرهم من الأشخاص الذين تم تطبيق التجارب عليهم في المانيا[51]، وهكذا نقلت المعلومات والتجارب السريرية التي كانت بحوزة الفيلق الكيميائي، والتي حصل عليها من كورت بلوم وشيرو إيشي إلى (CIA)، وبالتالي إلى سدني غوتلب.

وبعد أن تولى ألن دلاس إدارة (CIA) في السادس والعشرين من شباط 1953، ازداد طموح سدني غوتلب الوظيفي؛ لتيقنه أن ألن دالاس سيدعم أي مشروع يقترحه، ولاسيما توسيع تجارب عقار (أل أس دي)، لذا ابتكر فكرة مشروع جديد من شأنه أن يشمل مشروع

"الخرشوف" ويمنحه سلطة على جميع أبحاث (CIA) في مجال التحكم في العقول، وإعطاء الحرية في إجراء التجارب على "القابلين للاستهلاك" في سجون سرية في خارج وداخل الولايات المتحدة الأمريكية، ومواصلة الاختبار والدراسة والتحقيق في كل مادة أو طريقة يمكن استخدامها كأداة للسيطرة على العقول[52].

تلقى ألن دلاس طلب سدني غوتلب عن طريق هيلمز في الرابع من نيسان 1953، للحصول على موافقته لتنفيذ مشروع يهدف إلى تطوير استخدام المواد البيولوجية والكيميائية، وتوظيفها للسيطرة على عقلية الشخص المستهدف واستنطاقه، وتضمن الطلب توصية بوجوب ألا يقوم المشروع وفق علاقات تعاقدية رسمية، مع المختصين بالأبحاث التي يستند عليها المشروع، وذلك لأن العقود الموقعة ستكشف ارتباطهم بـ (CIA). وبعد أن أطلع ألن دلاس على أبعاد المشروع، وافق عليه في الثالث عشر من الشهر نفسه، وتم تخصيص ميزانية له، تقدر بـ (300) ألف دولار، وأوكل إلى سدني غوتلب الإشراف عليه، كما أخذ بتوصية هيلمز، التي أشار فيها بالقول: "**يجب اتخاذ الاحتياطات، ليس لحماية المشروع من الخصم فقط، ولكن إخفاء هذه الأنشطة عن الرأي العام الأمريكي أيضًا... فمعرفة أن الوكالة تشارك في الأنشطة غير الأخلاقية وغير المشروعة سيكون لها تداعيات خطيرة في الدوائر السياسية والدبلوماسية**"[53]، وقد مثّل هذا البرنامج احد اكثر البرامج المخابراتية الأمريكية سرية وحساسية من بين برامج الحرب الباردة، والذي اعطي الاسم الرمزي (ام كي الترا) (MK-ULTRA)، وقد سمح ألن دلاس لمكتب الخدمات التقنية وللموظفين العاملين في قسم الكيمياء بالعمل على مشروعات عدة، تهدف إلى إجراء البحوث على المواد الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية والعمل على تطويرها، ليتسنى لـ (CIA) استخدامها في العمليات السرية القائمة على التحكم بالسلوك[54].

أُعطيت سرّية أبحاث مشروع (MK-ULTRA) أهمية قصوى بناءً على توصية من سدني غوتلب، ولاسيَّما بعد أن لقي الطبيب الأمريكي المختص بعلم الجراثيم فرانك اولسن (Frank Olsen) مصرعه، فقد اختلفت الروايات بشأن الحادثة، إذْ ادعت (CIA) انه توفي في أثناء العمل، فيما رجحت مصادر أُخرى، بأنه توفي جراء إعطاءه جرعة من عقار(ال

سي دي) من دون علمه، سببت له حالة من الدوار وفقدان التركيز، مما جعلته يلقي بنفسه من نافذة احدى فنادق نيويورك في الثامن والعشرين من تشرين الثاني 1953، الأمر الذي أثار ردود أفعال مختلفة، وطرحَ تفسيرات عدة بشأن حادثة وفاته. وقد صعّدت (CIA) على خلفية تلك الحادثة، من إجراءاتها السرية المتعلقة بطبيعة عمل مشروع (MK-ULTRA)، إذْ بدأ العاملون فيه، باستخدام أرقام معينة للإشارة إلى إجراء معين يتم تنفيذه، إلا أن الكثير من معلومات البرنامج بقيت منقوصة، وذلك لان هيلمز، أمر ضباطه بعد أن تولى إدارة (CIA) (1967–1973)، بإتلاف الكثير الوثائق المتعلقة بهذا المشروع، خشية أن تكشف للرأي العام الأمريكي[55]، وقدر تعلق الأمر بمشروع (MK-ULTRA)، فقد بيّنَ المؤرخ الأمريكي، تيم وينر (Tim Weiner) بأن الجهد الذي بذلته (CIA) لاختراق الستار الحديدي، دفعها إلى تبنّي تكتيكات أعدائها[56].

التقى سدني غوتلب بالعديد من ضباطها المنتشرين في محطات أجنبية في أثناء سنوات عمله في (CIA)، وفي أوائل عام ١٩٥٧، قرر أن يصبح واحدًا منهم، إذ ترك منصبه كرئيس لقسم الكيمياء في مكتب الخدمات الفنية، الذي أداره منذ إنشائه، وبدأ تدريبًا لعدة أشهر للعمل بصفة ضابط ميداني، وبعد إكماله دورته، انتقل إلى ميونيخ، برفقة زوجته وأطفاله الأربعة، وكان سبب اختياره الذهاب الى ألمانيا، لتمكنه بالتحدث باللغة الألمانية، ومعرفته الجيدة بألمانيا عن طريق زياراته المتكررة والمرتبطة باستجوابات (MK-ULTRA)، كما أن لديه أصدقاء عدة يعملون في شبكة (CIA) هناك[57].

وفي سياق مشروع (MK-ULTRA)، أرسل سدني غوتلب عملاء من (CIA) للبحث عن السموم الطبيعية في جميع أنحاء العالم، إذ درسوا تقارير عن نباتات وحيوانات سامة، وحددوا أماكن وجودها، واستشاروا السكان الأصليين للمناطق التي سافروا إليها، وعادوا بعينات واعدة ومهمة لعمليات الوكالة، وقد ارسل سدني غوتلب، العينات إلى شركاءه في العمل بمعسكر ديتريك، وقد أعطيت بعد اجراء أبحاث عديدة عليها، بشكل سري للطيارين الأمريكيين الذي شاركوا بعمليات التجسس السرية، وفق مشروع (U-2) للتجسس، ولاسيما الطيار فرانسيس غاري باورز، الذي شارك في واحدة من أكثر مهام (CIA) سرية،

وتمكن من القفز بالمظلة وفتحها بعد ان سقطت طائرة التجسس التي كان يقودها فوق الاتحاد السوفيتي في أيار 1960، وقد وضع باوزر قلادة حول عنقه على شكل دولار فضي كان معلقًا حول عنقه كتميمة حظ أُعطي له قبل الإقلاع، وقد خبئ بداخلها دبوس مطلي بالسم يمكن استعماله اذا اقتضت الضرورة[58].

فيما شاركت (CIA) في عمليات اغتيال عديدة في مناطق مختلفة من العالم، ضمت منفيين وزعماء وطنيين وقيادات سياسية بارزة، ففي 1960، وفي إطار "المشروع الكوبي"، وهي الخطة التي وضعتها لـ (CIA) الإدارة الأمريكية، وبإشراف مديرية التخطيط التابعة للوكالة، اقترح سدني غوتلب رش رذاذ مُضاف إليه عقار (ال سي دي) في استوديو الإذاعة الذي كان الزعيم الكوبي فيدل كاسترو(Fidel Castro) (1926–2016) يُلقي منه بثًا مباشرًا يصل إلى ملايين الكوبيين، ليصبح كاسترو مشوشًا وغير متماسك حتى يفقد توازنه عند إلقائه إحدى الخطب، وهو ما قد يفقده القبول والدعم الشعبي، وبعد نقاش تم رفض هذه الفكرة لعدم جدواها، ثم توصل فريق سدني غوتلب إلى خطة بدا انها أغرب، إذ أقنعوا أنفسهم بأن جزءًا من جاذبية كاسترو، ينبع من شعره – وتحديدًا من لحيته، فإذا سقطت اللحية وفق اعتقادهم، فقد تسقط قوة شخصية كاسترو أيضًا. لذا اختار سدني غوتلب. مُركبًا قائمًا على أملاح الثاليوم، التي يتم رشها على الأحذية التي كان يتركها كاسترو خارج غرفته في الفندق لتلميعها؛ وعند حدوث أي تماس بين يده ولحيته، ستبدأ فعالية المركب مما يجعله عرضة للسخرية وفقدانه الاحترام من جماهيره. وعلى الرغم من قدرة المجموعة التي قادها سدني غوتلب على المضي قدمًا، إلا أنهم واجهوا نقاط ضعف واضحة في هذه الفكرة، لصعوبة معرفة متى يسافر كاسترو، وحتى لو أقام في فندق يمكن لـ (CIA) اختراقه، فمن المرجح أن فريق حراسته لن يسمح لأطراف خارجية مجهولة بلمس أحذيته او أي أغراض شخصية عائدة اليه. لذا حوّل سدني غوتلب ومساعديه أفكارهم إلى الاغتيال. كانت فكرتهم الأولى تلطيخ علبة سيجار وتسليمها إلى ضباط العمليات الذين يمكنهم إيجاد طريقة لتسليمها إلى كاسترو، وقد أفاد المفتش العام لـ (CIA)، الذي حقق لاحقًا في هذه العملية، أن ضابطًا في الوكالة "لوّث علبةً كاملةً من خمسين سيجارًا بسم البوتولينوم، وهو سمٌّ خبيث يُسبب مرضًا

مميتًا بعد ساعاتٍ من تناوله، وقد كانت السيجار ملوثةً بشدةٍ لدرجة أن مجردَ وضعِ سيجارٍ واحدٍ في الفم كان كافيًا. وقدر تعلق الامر بالموضوع، وبناءً على اتفاقية الشراكة المعروفة باسم (MK-NAOMI)، بين علماء معسكر فورت ديتريك ومكتب الخدمات التقنية في (CIA)، تم وضع سلسلة من الطرق لاغتيال كاسترو، والتي شملت وفقًا لتحقيق أجراه مجلس الشيوخ بعد سنوات، "حبوبًا سامة، وأقلامًا سامة، ومساحيق بكتيرية قاتلة. ولم ينتهِ التآمر ضد كاسترو برحيل أيزنهاور عن منصبه في بداية عام ١٩٦١. فقد تبيّن أن خليفته، جون كنيدي، كان عازمًا بنفس القدر على "القضاء" على كاسترو. وقد زاد الانهيار المذهل لعملية (CIA) لكوبا عام ١٩٦١ في خليج الخنازير (Bay of Pigs Invasion) من عزمه على تحقيق ذلك[59].

وفي السياق ذاته، تم تنظيم عملية نوعية تهدف إلى اغتيال الزعيم الوطني الكونغولي باتريس لومومبا (Patrice Lumumba)، فقد بقيت الإدارة الأمريكية تشعر بالقلق من وجوده، على الرغم من وضعه تحت الإقامة الجبرية بعد نجاح انقلاب رئيس أركان الجيش الكونغولي؛ جوزيف موبوتو (**Joseph-Désiré Mobutu**)، ففي التاسع عشر من أيلول 1960[60]، تلقى رئيس محطة الوكالة في العاصمة الكونغولية ليوبولدفيل؛ لورنس دفلن (Lawrence Devlin) رسالة مشفرة من مقر (CIA) تضمن وصول شخص من باريس يُدعى "جو" من باريس"، ومعه أوامر "حساسة للغاية" لا يمكن تسليمها إلا شفهيًا[61]، وبعد أسبوع على وصول الرسالة، وعند مغادرته السفارة الأمريكية التي كان يعمل فيها تحت غطاء دبلوماسي، اقترب منه رجل وقدم نفسه على أنه "جو من باريس"، وقد عرفَ دفلن هوية زائره، وهو سدني غوتلب، وهو ما يعني أن إدارة (CIA) سعت إلى التخلص من لومومبا عبر إستخدام السموم، فبعد وصول سدني غوتلب إلى الكونغو، ولقائه بدفلن، دخل الأول إلى صلب الموضوع بشكل مباشر، إذْ سلم دفلن قنينة من معجون الأسنان، احتوت على سم قاتل، لاستخدمها لقتل لومومبا، مشيرًا له أن مسؤولية تنفيذ العملية تقع على عاتقه، وأن التفاصيل متروكة له، وعليه التعامل مع العملية بأقصى درجات الحذر، لابعاد مسؤولياتها عن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، بيد أن عملاء دفلن الكونغوليين لم يتمكنوا من

الوصول إلى لومومبا، بسبب الحراسة المشد التي فرضت على مقر إقامته، وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني 1960، تمكن من الهروب والتوجه نحو معقل أنصاره في اقليم ستانلفل الواقع في شمال البلاد، غير أن قوات موبوتو تمكنت من القاء القبض عليه في التاسع والعشرين من الشهر نفسه قبل وصوله إلى ستانلفل واعدامه في السابع عشر من كانون الثاني 1961[62].

واصل سدني غوتلب إدارة مشروع (MK-ULTRA)، وبحلول أوائل سبعينيات القرن الماضي، ضمن مكانته بوصفه أحد قادة (CIA) المخضرمين، وبدا أن الشكوك التي لاحقته خلال فترة عمله في مشروع (MK-ULTRA) قد تبددت، ولكن مع تولي هيلمز منصب مدير (CIA)، أصبح الماضي سرًا آمنًا، إلا أن تصاعد أصداء فضيحة وتترغيت، جعلت هيلمز يأمر بإتلاف جميع سجلات (MK-ULTRA)، وقد أخذ سدني غوتلب الأمر على محمل الجد بما يكفي ليقود سيارته إلى مركز السجلات، ويقدم على تنفيذ الأمر شخصيًا، ويصر على تنفيذه فورًا، ففي الثلاثين من كانون الثاني 1973، تم اتلاف سبعة صناديق من الوثائق المتعلقة بالمشروع، بالإضافة إلى خمسة وعشرين نسخة من كُتيّب بعنوان "**LSD-25:** بعض الآثار غير المُخدرة"، وعلى الرغم أن اتلاف معظم الوثائق المتعلقة بالمشروع، إلا أن ذلك لم يكن كافيًا، فقد غلبت أصداء فضيحة ووترغيت (Watergate Scandal) التي وقعت عام 1972، وتداعياتها على الإدارة الأمريكية ولاسيما الرئيس ريتشارد نيكسون (Rechard Nixon) (1913–1994/ 1969–1974) بشكل متزايد، وفسحت المجال فيما بعد، لاجراء تحقيقات بشأن بعض أنشطة (CIA) [63].

تقاعد سدني غوتلب من (CIA) في الثلاثين من حزيران 1973، بعد أن خدم فيها لمدة اثنين وعشرين سنة، ومُنح قبل تقاعده أحد أرفع أوسمة التي تمنحها الوكالة، وهو وسام الاستخبارات المتميز، الذي يُمنح لضباط الوكالة "لأداء خدمات متميزة، أو لإنجاز استثنائي"[64]، وأمضى مع زوجته عامين في السفر متنقلًا بين أستراليا وأفريقيا والهند، ثم عاد إلى سانتا كروز بولاية كاليفورنيا، وحصل على درجة الماجستير في علم أمراض النطق. وبعد خمس سنوات عاد مع عائلته إلى فرجينيا لقضاء سنوات تقاعده [65].

لم تكن عملية إتلاف معظم الوثائق المتعلقة بمشروع (MK-ULTRA) كافية، فقد غلبت اصداء فضيحة ووترغيت على واشنطن بشكل متزايد، مما أدى إلى استقالة نيكسون في 9 آب 1974، فبعد عدة أشهر، نشرت صحيفة نيويورك تايمز (New York Times)، مقالًا تحدثت فيه عن قيام (CIA) ببرنامج جمعت بموجبه ملفات عن آلاف الصحفيين الأمريكيين والناشطين المناهضين للحرب، الأمر الذي دفع عددًا من أعضاء الكونغرس إلى تقديم اقتراح بإنشاء لجنة خاصة للتحقيق في الأعمال غير القانونية التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية. وقد عارض الرئيس الأمريكي جيرالد فورد (Gerald Ford) (1913–2006/ 1974–1977)، وكبار ضباط الوكالة الاقتراح بشدة، إلا أن تغيّر المناخ السياسي في واشنطن، الذي طالما حمى الوكالة بشكل حاسم، ولاسيما بعد أن بدأت بعض الصحف الأميركية تنشر الأخبار عن تجاوزاتها ومطالبة بعض الأوساط في الرأي العام الأمريكي بمعرفة المزيد عن أنشطة (CIA)، جعل من المستحيل على الرئيس فورد معارضة فكرة التحقيق، وفي 4 كانون الثاني 1975، أعلن الرئيس فورد عن تشكيل لجنة خاصة به تابعة لوكالة المخابرات المركزية، وقد أراد تقريرًا بسيطًا يكشف عن بعض الأذى دون التنويه عن وجود جرائم جسيمة. ولضمان إصدار لجنته تقريرًا متسامحًا، اختار فورد نائبه نيلسون روكفلر (Nelson Rockefeller) رئيسًا لها. وبعد اجراء العديد من المقابلات مع ضباط في الوكالة، جاء تقرير لجنة روكفلر (Rockefeller Commission)، الصادر في 11 حزيران 1975، معتدلًا بقدر ما سمحت به الظروف، وخلص إلى أن (CIA)، نفذت عمليات "غير قانونية بشكلٍ واضح"، بما في ذلك التجسس على الجماعات التي قادت الاحتجاج في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات والتنصت على الهواتف والقيام بعمليات سطو وفتح البريد. حتى بدأت القصص عن مؤامرات اغتيال قادة أجانب تنتشر في واشنطن، إذ ذكر تقرير اللجنة ذكر أن الوقت لم يسمح بإجراء تحقيقٍ شامل. وعلى الرغم من أن التقرير لم يذكر اسم مشروع (MK-ULTRA)، إلا أنه ذكر أن (CIA)، أدارت مشروعًا "لاختبار عقاقير يحتمل أن تكون خطيرة على مواطنين أمريكيين غير مدركين"، ومشروعًا آخر تضمن إعطاء المخدرات لبعض السجناء، ومشروعًا ثالثًا أُعطي "متطوعين

غير مدركين" عقار () في موقعين سريين تابعة للـ (CIA)، وخلص التقرير إلى استحالة إجراء المزيد من التحقيقات، لأن سجلات هذه العمليات قد أُتلفت، وأن "جميع الأشخاص المشاركين مباشرةً في المراحل الأولى من البرنامج إما كانوا خارج البلاد وغير متاحين لإجراء مقابلات معهم أو متوفين". وقد ورد اسم سدني غوتلب، عندما ذكر مساعده روبرت لاشبروك (Robert Lashbrook)، أنه اتصل فور وفاة فرانك أولسون بموظف في (CIA) وأبلغه بما حدث، وأن اسم الموظف هو سدني غوتلب، ثم نشرت صحيفة نيويورك تايمز أيضًا اسم غوتلب، ووصفته بأنه "رئيس برنامج اختبارات وكالة المخابرات المركزية لمادة أل أس دي "، ونقلت عن محققين لم تُكشف أسماؤهم في لجنة روكفلر تأكيدهم أنه "دمر سجلات برنامج المخدرات عام ١٩٧٣، لإخفاء تفاصيل أنشطة غير قانونية محتملة". كما ذكرت صحيفة التايمز أيضًا أن سدني غوتلب كان "**متورطًا شخصيًا في تجربة قاتلة**" أدت إلى وفاة فرانك أولسون، وقد سبق أن أفادت لجنة روكفلر بإتلاف سجلات تجارب عقار (LSD)، لكنها لم تذكر اسم سدني غوتلب. وعندما حاول "البعض" مقابلته، أبلغتهم الوكالة بأنه غير متاح. وقد أحدثت هذه القصص مفاجأةً في حياة غوتلب، حيث حجبت هويته لأول مرة. وبشكل عام لم يُرضِ تقرير لجنة روكفلر المتابعين، فشكّل مجلس الشيوخ لجنة مختارة لدراسة العمليات الحكومية المتعلقة بأنشطة (CIA)، عرفت باسم لجنة تشرش (Church Committee) نسبة إلى رئيسها الشيخ فرانك تشرش (Frank Church). وقد عثر محققوها على وثائق تتحدث عن مؤامرات لاغتيال قادة أجانب، وقد حُجبت أسماء معظم ضباط (CIA)، الذين أرسلوا أو استلموا هذه الوثائق، حتى ظهر اسم سدني غوتلب[66].

طلب محققو لجنة تشرش من (CIA)، الإذن باجراء مقابلة مع سدني غوتلب، مما اضطره إلى العودة من الهند في نيسان عام ١٩٧٥، واستدعي للاستماع لشهادته من قبل لجنة تشرش في تشرين الأول 1975، وخلال الجلسات حصر موضوع عمله في (CIA) والنشاطات التي قام بها، ضمن قرارات صادرة من مسؤوليه الأعلى، والتي كانت تصدر ضمن مبررات الأمن القومي الأمريكي. حتى خلصت لجنة تشرش في تقريرها النهائي، الصادر في التاسع والعشرين من نيسان 1976، بعد أن أجرت (126) تحقيقًا استمرت لمدة

16 شهرًا، و(40) جلسة استماع للجان الفرعية، ومقابلة (800) شاهد تقريبًا، وقدر تعلق الأمر بـ (CIA)، فقد كشفت اللجنة حقائق صادمة وبرامج استخباراتية سرية لم تكن معروفة للكونغرس أو للرأي العام، منها، "محاولات اغتيال الرئيس فيدل كاسترو في كوبا، ورئيس جمهورية الدومينكان رافائيل تروخيو (Rafael Trujillo)، ورئيس الوزراء باتريس لومومبا في جمهورية الكونغو الديمقراطية، وعملية (CIA)، المعروفة باسم عملية "الطائر المحاكي" (Mockingbird): لتجنيد صحفيين لنشر الدعاية عبر وسائل الإعلام، ومشروع (المأذنة) "مينارت" (MINARET) ، الذي أدارته وكالة الأمن القومي (National Security Agency) (NSA)، بالتعاون مع شركات الاتصالات، لمراقبة اتصالات الأشخاص المدرجين على "قائمة المراقبة"، بمن فيهم السيناتور تشيرش، وعضوا لجنة تشيرش والتر مونداديل وهوارد باكر، ورئيس لجنة مجلس النواب التي تحقق في وكالات المخابرات أوتيس بايك، ومشروع "شامروك" (SHAMROCK): لاعتراض جميع الرسائل البرقية الواردة والصادرة من الولايات المتحدة الأمريكية، والتي كانت شركات الاتصالات ترسلها لوكالة الأمن القومي التي تقوم بدورها بتوزيعها على وكالات استخبارات أخرى، وبرنامج "هتلنغول" (HTLINGUAL): الذي سعت عن طريقه (CIA) بين عامي (1952–1973) إلى اعتراض ومراجعة البريد الموجه إلى الاتحاد السوفيتي والصين تحت غطاء العمل المخابراتي. واستهداف نشطاء بارزين أمريكيين في حقوق الإنسان مثل مارتن لوثر كينغ (Martin Luther King)، فيما اكدت اللجنة، على أن (CIA) نفذت بموجب مشروع (MK-ULTRA)، تجارب سرية على مواطنين أمريكيين، إذ تم إعطاؤهم جرعات عالية من عقار (ال أس دي) ومخدرات أخرى لمعرفة مدى استجابتهم لتقنيات غسيل الدماغ أو الاستجواب، وأشارت اللجنة، إلى أن مشروع (MK-Naomi)، يمثل عمليات سرية لـ (CIA) والجيش لتطوير وتخزين مجموعة من العوامل البيولوجية دون إذن من الكونغرس أو الرئيس، بما في ذلك السموم وبكميات كافية لقتل عشرات الآلاف، وبذلك فإن "**أجهزة المخابرات قوّضت الحقوق الدستورية للمواطنين**". وأضافت: "**لا توجد سلطة دستورية أصيلة للرئيس أو أي جهاز استخبارات لانتهاك القانون**". كما تضمّن التقرير النهائي

للجنة، المؤلف من ست مجلدات، قسمًا بعنوان "اختبار واستخدام العوامل الكيميائية والبيولوجية من قِبل أجهزة الاستخبارات [67].

استدعى أعضاء لجنة الاستخبارات المختارة بمجلس الشيوخ Senate Select Committee) (on (Intelligence، التي خلفت لجنة تشيرش، سدني غوتلب عام 1977، للاستماع لشهادة حول أنشطة (CIA)، ولاسيما برنامج (MK-ULTRA)، إذ أشار بالقول: "**أودّ أن تعلم هذه اللجنة أنني اعتبرتُ كل هذا العمل – وقت إنجازه وفي سياق الظروف التي سادت في تلك الفترة – عملاً مزعجًا للغاية، وصعبًا للغاية، وحساسًا للغاية، ولكنه قبل كل شيء عاجل ومهم للغاية**". وقد استمر بحضور الجلسات للإدلاء بشهادته، عندما كانت عائلة الطبيب فرانك اولسن القضية، وكان آخرها قبيل وفاته بعدة أشهر، إذ توفي في السابع من آذار 1999[68].

الخاتمة:

- اثبت سدني غوتليب وعلى امتداد سنوات دراسته شغفه الدائم بالعلم وسعيه إلى الارتقاء به، لتيقنه أن ذلك سينعكس إيجابًا على شخصيته ومكانتها. فعلى الرغم من تأثره بعد حرمانه من فرصة الانضمام إلى الجيش والمشاركة في الحرب العالمية الثانية، إلا أنه سخر كل طاقاته لا يجاد طريقة لخدمة مصالح بلاده، وذلك عن طريق توسيع قدراته العلّمية واستعمالها لخوض حرب من نوع آخر.
- شكّلت عملية الاستحواذ على الخبرات العملية الألمانية واليابانية في مجال الحرب الجرثومية، والأساليب الخاصة بعمليات الاستجواب والاغتيالات، منطلقًا للقيادات الأمنية الأمريكية، هدف إلى تطوير تلك الأساليب، وتوظيفها في صراعات الحرب الباردة.
- أعلت سلطات الاحتلال الأمريكي في ألمانية واليابان، قيمة كورت بلوم وشيرو إيشي العلمية، ومدى أهمية الإفادة منها، فسخرت كل إمكانياتها للحيلولة من إخضاع بلوم وإيشي للمحاكمة، وغضت الطرف عن ضلوعهما بجرائم حرب.

- وَظَفَتْ الإدارة الأمريكية، القدرات العلمية لكورت بلوم وشيرو إيشي، في مجالات كانت المعرفة الأمريكية بها متواضعة ومحدودة في تلك المدة، فساهمت في فسح المجال للعديد من المختصين الأمريكيين لطرح رؤاهم وأفكارهم المتعلقة بتجارب علمية كانت على قدرٍ عالٍ من السرية، ولاسيما في مراكز الأبحاث العلمية التابعة للجيش الأمريكي. فقد استحوذ هاجس الأمن القومي الأمريكي؛ المرتبط بشكل مباشر بالخطر السوفيتي، على قيادات عسكرية وأمنية أمريكية بشكل كبير بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي دفعهم إلى إخطار الإدارة الأمريكية، بضرورة استعمال كل الوسائل الممكنة لدرء الخطر السوفيتي.
- أكد تلك المخاوف، احتكاك الإدارة الأمريكية بخصمها السوفيتي عن طريق (CIA)، ولاسيما محاكمة الكاردينال الإيطالي جوزيف، وسلوكه أثناء المحاكمة، إضافة إلى تغير أيدولوجيات الجنود الأمريكيين الذي أُسروا في الحرب الكورية، والتي أوصلت ضباط الوكالة إلى قناعة مفادها، على قدرة السوفييت على محو ذاكرة البشر والتحكم بسلوكياتهم.
- وفق معايير الحرب الباردة، فإن معرفة قدرات الخصم، والوسائل المستخدمة في هذا الحرب، يعد ضرورة ملحة إذا ما أراد أحد الطرفين التفوق، وقد تعلق الأمر بالجانب الأمريكي، فإن معرفة مدى التطور الذي أحرزه السوفييت، وتحديدًا في مجال السيطرة على العقول وعمليات الاستجواب الخاصة، قد عُدَّ ضرورة قصوى. فمع تصاعد وتيرة الحرب الباردة، ازداد اهتمام ضباط (CIA) بالطرق التي يُمكن بواسطتها استعمال العوامل الكيميائية والبيولوجية للسيطرة على عقول الأفراد.
- شكّلَ التعاون الرسمي بين الفيلق الكيميائي التابع للجيش الأمريكي و(CIA)، إضافة إلى انضمام ألن دلاس إلى (CIA)، نقطة تحول مهمة في مسيرة سدني غوتلب العلمية والوظيفية، فقد أفاده التعاون كثيرًا، إذ أصبح مطلعًا عن كثب على الخبرة العلمية التي حصل عليها الفيلق الكيميائي من كورت بلوم وشيرو إيشي، وتعينه رئيسًا لوحدة الأبحاث العلمية في مكتب الخدمات التقنية، وجهوده في تطوير برامج

"بلوبيرد" و "الخرشوف"، اللذان اصبحا أكثر شمولًا في برنامج (MK-ULTRA). فيما كان تولي ألن دلاس رئاسة (CIA)، وسعيه الحثيث في تطوير الأساليب المستخدمة في تنفيذ عمليات (CIA) فائقة السرية، عاملًا مهمًا في دعم وإسناد أبحاث سدني غوتلب العلمية، طيلة مدة توليه إدارة ألن دلاس لـ (CIA).

- أدى تصاعد العديد من الأصوات في الرأي العام الأمريكي، ولاسيما في الصحافة وبعض قادة الرأي، إلى تشكيل لجان خاصة في الكونغرس للتحقيق في أنشطة (CIA)، خلصت إلى الأخيرة قد نفذت عمليات خارج الأطر الدستورية والقانونية، والمعايير الأخلاقية، ولاسيما عمليات اغتيال لقادة أجانب، وإعطاء جرعات من عقار (ال أس دي) لمواطنين أمريكيين.
- صحيح أن الوثائق المتعلقة ببرنامج (MK-ULTRA)، قد تعرض الكثير منها إلى الإتلاف المتعمد، مما صَعَّبَ على الباحثين الحصول على معلوماته ودراسة المشروع دراسة مستفيضة، إلا أن ذلك لم يمنع من تصدي البعض له، وفق المعلومات والشهادات المتاحة.
- أشر ارتباط سدني غوتلب ببرنامج (MK-ULTRA)، على انه لم يتردد وفق قناعاته الشخصية، القائمة على تحقيق مصالح بلده في تجاوز ضميره العلمي والأخلاقي، ولاسيما الأنشطة التي طالت مواطنين أمريكيين، وهو ما يتعارض مع فلسفة الحياة الأمريكية القائمة على الحريات الفردية.

المصادر:

(1) Thomas Smith, Encyclopedia of the Central Intelligence Agency, Facts On File, Inc, New York, 2003, P.113.

(2) Stephen Kinzer, Poisoner in Chief: Sidney Gottlieb and the CIA Search for Mind Control, Henry Holt and Company, New York, 2019, P.12.

(3) Quoted In, Ibid.

(4) Ibid.

(5) Ibid, P.13.

(6) Ibid, P.14.

(7) Ibid, P.15.

(8) Ibid, P.16.

(9) Ibid, P.18.

(10) Ibid, P.19.

(11) **هجوم بيرل هاربر:** هجوم مباغت نفذه سلاح الجو التابع للقوة البحرية اليابانية في 7 كانون الاول 1941، كان الهجوم بمثابة ضربة وقائية لإبعاد الأسطول الأمريكي في المحيط الهادئ عن الحرب، وقد مثل الهجوم السبب المباشر لدخول الولايات المتحدة للحرب العالمية الثانية (1939-1945)، للمزيد من التفاصيل انظر:

Carl Smith, Pearl Harbor, Osprey published, United Kingdom,2001,P15.

(12) Stephen Kinzer, Op.Cit, , P.19.

(13) Ibid, P.16.

(14) **مكتب الخدمات الاستراتيجية:** يعرف اختصاراً (OSS)، وهي وكالة مخابرات أمريكية سابقة تم إنشائها أثناء الحرب العالمية الثانية، وتهدف إلى جمع المعلومات الاستخبارية وتنفيذ بعض العمليات الخاصة والسرية، اذ قامت بتنفيذ العديد من العمليات خلف خطوط العدو في اثناء الحرب العالمية الثانية، والعمل على بث الدعاية للتأثير على الرأي العام خلال سنوات الحرب. حُل المكتب رسمياً في ايلول 1945 واستبدل بوكالة المخابرات المركزية. للمزيد من التفاصيل انظر:

Eugene Liptak, Office of Strategic Services 1942-45: The World War II Origins of the CIA, Osprey Publishing, Midland House, England, 2009.

(15) **الغستابو:** مختصر لمصطلح باللغة الالمانية (Geheime Staatspolizei) وتعني شرطة الدولة السرية في النظام النازي الالماني. أُنشئت في(27 نيسان 1933). تمثل الشرطة السياسية السرية للرايخ الثالث. عملت على فرض المُثل الأيديولوجية للحزب النازي بعد وصول أدولف هتلر إلى السلطة. ترأسها هرمان غورينج. بحلول نيسان 1934، سيطر رئيس قوات الأمن الخاصة هاينريش هيملر على الغستابو. نص القانون الصادر في (10شباط 1936) على إعطاءها تفويضًا واسع في التحقيق ومكافحة جميع الأنشطة التي يمكن أن تعرض الدولة للخطر. عملت الغستابو من دون قيود قضائية، إذْ كانت تتمتع بسلطة الاعتقال الوقائي ولجأت في كثير من

الأحيان إلى استعمال أساليب تعذيب وحشية لانتزاع المعلومات، ووضع المشتبه بهم في "الحجز الوقائي". تعاون العديد من أعضاء الغستابو في الحرب العالمية الثانية مع مكتب الأمن (Sicherheitsdienst) (SD)؛ لتشكيل وحدات القتل المتنقلة، التي رافقت الجيش الالماني في بولندا والاتحاد السوفيتي. قمعت الغستابو جميع الأنشطة الحزبية في الأراضي المحتلة ولعبت دورًا رئيسيًا في ترحيل اليهود الألمان وغيرهم إلى معسكرات الاعتقال. في عام 1946، أعلنت المحكمة العسكرية الدولية في نورمبرج، بأنها منظمة إجرامية، للمزيد من التفاصيل، انظر:

Jefferson Adams, Historical Dictionary of German Intelligence, The Scarecrow Press, Inc, Maryland, USA, 2009, P.136.

(16) Jemes Srodes, Allen Dulles: Master of Spies, REGNERY PUBLISHUNG, INC, Washington, USA, 1999. P.316.

(17) **كورت بلوم:** (1894-1969)، طبيب ألماني وخبير في الأمراض السرطانية. درس الطب في جامعة غوتن عام 1914. انظم إلى الحزب النازي عام 1920. تولى منصب مساعد وزير الصحة بعد وصول النازيين إلى الحكم. بدأ بإجراء تجارب سريرة على المعتقلين منذ عام 1943. ألقت (8-MI)، القبض عليه في (17 أيار 1945)، وتم التدخل من قبل السلطات الأمريكية، لمنع ادانته في محاكمات نورمبرغ. استعانت به الادارة الأمريكية للعمل في مراكز الأبحاث العلمية التابعة للجيش الأمريكي، وفي مشروع (MK-Ultra) السري، للمزيد من التفاصيل انظر:

Frances R. Frankenburg, Human Medical Experimentation: From Smallpox Vaccines to Secret Government Program, ABC-CLIO, California, USA, 2017, P.P. 130-131.

(18) **محاكمات نورمبرغ:** سلسلة من المحاكمات التي عقدها الحلفاء في نورنبرغ في ألمانيا، بين عامي (1945و1946)، لمحاكمة القادة النازيين، من قبل المحكمة العسكرية الدولية. تضمنت لائحة الاتهام المرفوعة ضدهم أربع تهم وهي: 1- جرائم ضد السلام (أي التخطيط والشروع وشن حروب عدوانية، بخلاف للمعاهدات والاتفاقيات الدولية)، 2- الجرائم ضد الإنسانية (أي الإبادة والترحيل، والإبادة الجماعية)، 3- جرائم الحرب (أي انتهاكات قوانين الحرب)، و4- "خطة مشتركة أو مؤامرة لارتكاب" الأعمال الإجرامية المذكورة في التهم الثلاث الأولى. أُتهم (24) من القادة النازيين السابقين بارتكاب جرائم حرب، واتهمت مجموعات مختلفة (مثل الجستابو) بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الانسانية. عقدت المحاكمات ابتداءً من (20 تشرين الثاني 1945)، وبعد

(216) جلسة محاكمة، صدر الحكم في (1 تشرين الأول 1946) على (22) من أصل (24) متهم. تباينت الاحكام بين الإعدام والسجن والبراءة. للمزيد من التفاصيل انظر:

ج.م. جلبرت، محاكمات نورمبرغ، ترجمة: احمد رائف، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، مصر، 1991؛

Michael R. Marrus, The Nuremberg War Crimes Trial, 1945-46: A Documentary History, Bedford/St. Martin's, New York, 1997;

Encyclopedia Britannica, Inc ,CD: Nuremberg trials.

(19) Annie Jacobsen, Operation Paperclip: The Secret Intelligence Program that Brought Nazi Scientists to America, Little, Brown and Company, Massachusetts, USA, 2015, P.P, 3-7.

(20) سنحت الفرصة لشيرو إيشي، عندما منحه قادة الجيش عام 1936 قطعة أرض في جنوب هاربين (Harbin) وهي أكبر مدينة في منشوريا، فقد هُدمت ثماني قرى لإفساح المجال لمجمع مساحته أربعة أميال مربعة، والذي أصبح يضم أكثر من ثلاثة آلاف عالم وموظف. كان يُعرف رسميًا باسم مكتب الوقاية من الأوبئة وتنقية المياه، أما بالنسبة للعاملين هناك، والقلة القليلة الأخرى التي علمت بوجوده، فكان يُعرف بـ (الوحدة 731) ، للمزيد من التفاصيل انظر:

Stephen Kinzer, Op.Cit, P.37.

(21) Ibid.P, 35.

(22) Quoted In, Ibid.

(23) Ibid.P, 36.

(24) Ibid.P, 39.

(25) Qouted In, Ibid.P, 39.

(26) Ibid.P, 41.

(27) Ibid.P, 42.

(28) Ibid.P, 44.

(29) **وليم دونوفان:** (1883 - 1959)، محامي وعسكري وضابط مخابرات أمريكي. درس القانون في جامعة كولمبيا. خدم في فرنسا مع فوج المشاة (165) في الحرب العالمية الأولى. ترقى إلى رتبة عقيد وحصل على ميدالية الشرف من الكونجرس. شغل منصب مساعد المدعي العام في

وزارة العدل في المدة من 1924 إلى 1929، وعاد في سنة 1930 لممارسة القانون. دعا دونوفان بين عامي 1940-1941 لوضع خططٍ لإنشاء جهاز مخابرات أمريكي. شغل منصب مدير مكتب الخدمات الاستراتيجية. على الرغم من أنه كان من أهم دعاة إلى انشاء (CIA)، إلا انه لم يتولَ أي منصب في الوكالة عندما أنشئت عام 1947. شغل دونوفان منصب سفير الولايات المتحدة الأمريكية في تايلاند من (1953-1954)، للمزيد من التفاصيل انظر:

Encyclopaedia Britannica, Inc, CD: William Donovan; Richard Dunlop, Donovan: America's Master Spy, Simon and Schuster, New York, 2014.

(30) بيّن دونوفان اخطار الصراع الجديد، إذ حذر دونوفان انه بعد النهاية الناجحة للحرب العالمية الثانية، ستواجه الولايات المتحدة الأمريكية حالة يحتمل أنها اخطر من الحالة السابقة، إذ انذر الرئيس ترومان بأن الاتحاد السوفيتي سيصبح خطراً على الولايات المتحدة الأمريكية، اكبر من اي خطر معروف إلى ذلك الوقت. وعلى امتداد سنة من تقديم ذلك التقرير، كانت الدوائر الاستخبارية في واشنطن ولندن تخطط سراً لتلك الحرب، فبخلاف الحرب العالمية الثانية، تدور هذه الحرب في (الظلال)، بهدف الاستيلاء على اشارات وليس على مدن، وباستعمال خوارزميات رياضية معقدة واجهزة الكترونية لا للقوة والرصاص، وهي التي سوف تحسم الفائز، عرفت هذه العملية باسم " استخبارات الاشارات" (Signal Intelligence) ومختصرها (Sigint)، وقد شملت (Sigint) استخبارات الاتصالات، والتنصت على اللغة المفهومة والاستخبارات الالكترونية التي تنتزع الاشارات من الاجهزة الالكترونية، للمزيد من التفاصيل انظر: جيمس بامفورد ،هيئة الاسرار(وكالة الامن القومي تحت المجهر)، ترجمة: سمير جبلي؛ امين الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002،ص 12.

(31) **قانون الأمن القومي:** صدر في (26 تموز 1947). نص على إعادة تنظيم للسياسة الخارجية والمؤسسات العسكرية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية. أنشأ بموجبه مجلس الأمن القومي، لمناقشة القضايا الأمنية المؤثرة على المستويين الداخلي والخارجي. دخلت معظم بنود القانون حيز التنفيذ في (18 أيلول 1947). أعاد القانون هيكلة القيادات العسكرية الأمريكية والوكالات المخابراتية، وأهمها تأسيس (CIA)، فضلاً عن، استحداث وكلات جديدة، واهمها مجلس الأمن القومي، الذي ضم الرئيس ونائبه ووزير الخارجية ووزير الدفاع وأعضاء آخرين من (CIA)، هيأة موارد الأمن القومي، (JCS)، هيأة الذخائر، هيأة البحث والتطوير، ومجلس الحرب الذي تقرر إعادة تسميته الى مجلس سياسات القوات المسلحة. جرى تعديل على المرسوم في عام 1949، إذْ

تم تغير اسم وزارة الحربية، إلى وزارة الدفاع، وجعلها وزارة حكومية تنفيذية، وهي خطوه قللت من سلطة قادة الفروع العسكرية الثلاث، كما حدثت تعديلات أخرى، إذ عينت رئيسًا لـ (JCS)ووفرت مكافئات وميزانية للعمل ومصروفات تنظيمه، للمزيد من التفاصيل انظر:

Office of The Director of National Intelligence, Box.1, File, NO. 1, Section.1, Office of General Counsel, 2020, P.26.

(32) **وكالة المخابرات المركزية:** تعرف اختصاراً باسم ال "سي.آي.ايه" (C.I.A)، انشات عام 1947، بموجب قانون الامن القومي الصادر في العام نفسه. يقع مقرها في مقاطعة "فاير فوكس" بولاية فرجينيا. مهمتها الرئيسة تنسيق اجهزة المخابرات الرئيسة المتفرقة في الولايات المتحدة، وايجاد اوجه الارتباط بينها، كما تعمل على تقويم ونشر التقارير التي تؤثر في الامن القومي الامريكي، وتعتبر الوكالة اداة مهمة في صنع القرار السياسي الامريكي، وارتبط اسمها بعدد من من عمليات التدخل في شؤون الدول الاخرى، للمزيد من التفاصيل انظر: ياسين محمد حمد العيثاوي، دور المؤسسات الدستورية في صنع القرار السياسي الامريكي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2005، ص 103؛

Encyclopedia Americana, Vol.16. International Edition, New York, USA,1979, P.185.

(33) Stephen Kinzer, Op.Cit.P, 35.

(34) **الحرب الباردة:** أول من استخدم هذا المصطلح هو المستشار الرئاسي برنارد باروخ (Bernard Baruch) (1870-1965)، في جلسة الكونغرس المنعقدة في 12 إذْار 1947، عندما وصف الأوضاع بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي بأنها "حرب باردة"، ثم تلقف هذا المصطلح عدد من الكتاب والصحفيين للتعبير عن الصراع بين العملاقين السوفيتي والامريكي، الذي تمثل بمجموعة من المواقف والسياسات التي تبنتها الدولتان بعد الحرب العالمية الثانية، والتي هدفت إلى تحديد قوة ونفوذ وتأثير كل طرف على الآخر، وذلك عن طريق خلق تفوق عسكري "سباق تسلح"، واستخدام الاقتصاد والإعلام والحرب النفسية، وقيام حرب تجسس بين الجانبين، باستخدام معدات متطورة بما فيها الطائرات، إذْ ادى اسقاط احدى الطائرات التجسسية الامريكية على الاراضي السوفيتية إلى استخدامها ورقة ضغط سوفيتية في زمن الزعيم خروتشيف والرئيس كندي، فضلاً عن تكوين التحالفات الاقليمية والدولية، والتدخل المباشر وغير المباشر في المنازعات الاقليمية، وقد استمر هذا التنافس حتى تفكك الاتحاد السوفيتي في (26

كانون الأول 1991)، للمزيد من التفاصيل انظر: كولن باون وبيتر موني، من الحرب الباردة حتى الوفاق 1945-1980، ترجمة صادق إبراهيم عودة، دار الشروق للطباعة والتوزيع، بيروت لبنان، 1984.

(35) عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، ألن دلاس وادارته لوكالة المخابرات المركزية (1893-1969)، أُطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب- جامعة بغداد، 2023، ص 233.

(36) Stephen Kinzer, Op.Cit.P, 35.

(37) Ibid.P, 37.

(38) Quoted In, Ibid.P, 37.

(39) **روسكو هلنكوتر:** (1897-1982)، لواء بحري أمريكي. تخرج من الأكاديمية البحرية الأمريكية عام 1919. المدير الثالث لـ (CIA)، وأول من شغل هذا المنصب بعد إنشاء وكالة المخابرات المركزية (CIA) بموجب أحكام قانون الأمن القومي لعام 1947. إذْ أدار (CIA) (1 أيار 1947- 7 تشرين الأول 1950). تعرض لانتقادات شديدة لفشل (CIA) في تقديم تحذير لصناع السياسة الأمريكية بشأن اندلاع الحرب الكورية وغيرها من الأحداث العالمية مثل وصول الشيوعيين إلى السلطة في تشيكوسلوفاكيا وهزيمة القوات القومية في الصين. عاد إلى الخدمة العسكرية، وخدم بوصفه قائدًا لقوة المهام البحرية في الحرب الكورية، للمزيد من التفاصيل انظر:
Glenn Hastedt, Espionage, ABC-CLIO, USA, New York, 2003, P. 363.

(40) Memorandum From Director of Central Intelligence Dulles to Secretary of Defense Wilson, Central Intelligence Agency, Executive Registry, Job 80-B01731R, Box 15. Secret, Washington, December 3, 1955.

(41) عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، المصدر السابق، ص234.

(42) **ألن دلاس:** (1893-1969)، دبلوماسي وضابط مخابرات امريكي. شقيق وزير الخارجية جون فوستر دلاس (1888-1959/ 1953-1959). درس القانون في جامعة برنستون، خدم في وزارة الخارجية للمدة (1915-1926)، وقد شكلت تلك السنوات الانطلاقة الحقيقية لاهتمامه بالسياسة على نحو عام والعمل الاستخباري على نحو خاص. عمل خلال السنوات (1926-1939) في شركة المحاماة المعروفة سولفان وكروميل، وفيها طور علاقاته مع شخصيات اقتصادية وسياسية لها نفوذها في الإدارة الأمريكية. عاد للعمل الاستخباري بعد تأسيس مكتب

الخدمات الاستراتيجية، وعمل لصالح المكتب في سويسرا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية. كان له دور في انشاء وكالة المخابرات المركزية، والتي أصبح مديرًا لها بين عامي (1953-1961). ساهم بشكل فعّال في تطوير قدرات وكالة المخابرات المركزية في مرحلة مهمة من تاريخ الحرب الباردة. للمزيد من التفاصيل انظر:

Peter Grose, Gentelman Spy: The life of Allen Dulles, Richer Todd Books, New York, USA, 1994.

(43) Central Intelligence Agency, CIA Behavior Control Experiments, Box:9, April 20, 1950; Stephen Kinzer, Op.Cit.P,56.

(44) **مكتب الخدمات التقنية:** عُرف سابقًا بإسم قسم الخدمات الفنية وموظفي الخدمات الفنية. مسؤول عن دعم العمليات السرية في وكالة المخابرات المركزية، باستخدام الأدوات والتمويه والتزوير والكتابات السرية. في سنوات الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن الماضي، أجرى أبحاثًا وتجارب لاستخدام العقاقير والمواد الكيميائية والتنويم المغناطيسي، لانتزاع المعلومات في أثناء الاستجواب، وكذلك لتسهيل مقاومة الأسرى الأمريكيين للاستجواب. OTS هي جزء من مديرية العلوم والتكنولوجيا في (CIA). للمزيد من التفاصيل انظر: عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، المصدر السابق، ص 234.

(45) Stephen Kinzer, Op.Cit, , P.64.

(46) David Talbot, The Devil's Chessboard: Allen Dulle the CIA and the Rise of American's Secret Government, HarperCollins Publishers Limited, New York, USA, 2015. P.245.

(47) Stephen Kinzer, Op.Cit, , P.72.

(48) عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، المصدر السابق، ص234.

(49) David Talbot, Op.Cit, , P.245.

(50) عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، المصدر السابق، ص236.

(51) Stephen Kinzer, Op.Cit, , P.85.

(52) Ibid, P.92.

(53) Quoted In, Peter Grose, Op.Cit, P.392.

(54) David Talbot, Op.Cit, , P.247.

(55) أثبتت الوثائق التي لم يطالها الإتلاف وجود سجون سرية استخدمتها الوكالة في الخمسينات، لإجراء تحقيقات خاصة للمحتجزين، وحقنهم بالإكراه بالعقاقير التي تسهل عملية الاستجواب ونزع الاعترافات، كما أظهرت الوثائق الكثير من المناقشات التي تضمنت تفعيل أساليب الاستجوابات في محطاتها الخارجية، ففي خضم فضيحة ووترغيت، امر هيلمز عام 1973، بإتلاف جميع ملفات (MK-UITAR). ووفقًا لهذا الأمر تم إتلاف معظم المتعلقة به، مما جعل مسألة التحقيق الكامل في (MK-UITRA) مستحيلًا. نجت حوالي 20.000 وثيقة من تطهير هيلمز ، حيث تم تخزينها بشكل غير صحيح في مبنى السجلات المالية وتم اكتشافها بعد طلب قانون حرية المعلومات في عام 1977. تم التحقيق في هذه الوثائق بشكل كامل في جلسات مجلس الشيوخ لعام 1977.للمزيد من التفاصيل انظر: عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، المصدر السابق، ص238.

(56) Tim Weiner, Legacy of Ashes, The History of the CIA, Doubleday, New York, USA, 2007, P.64.

(57) Stephen Kinzer, Op.Cit, P.207.

(58) Ibid, P.219.

(59) Ibid, P.236.

(60) Francois Ngolet, Crisis In Congo, Palagrave, USA, 2011 , P.15.

(61) Peter Grose, Op. Cit, P.505

(62) Ibid.

(63) Stephen Kinzer, Op.Cit, P.270.

(64) Ibid, P.271.

(65) Ibid, 273

(66) Ibid, P.296.

(67) U.S. Congress, Senate, Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities. INTELLIGENCE ACTIVITIES AND THE RIGHTS OF AMERICANS BOOK II FINAL REPORT OF THE SELECT COMMITTEE TO STUDY GOVERNMENTAL

OPERATIONS WITH RESPECT TO INTELLIGENCE. Report No 94-755, Washington, 1976.

(68) Stephen Kinzer, Op.Cit, P.305.

المصادر:

اولًا: الوثائق غير المنشورة: -

1- Office of The Director of National Intelligence, Box.1, File, NO. 1, Section.1, Office of General Counsel, 2020.

2- Central Intelligence Agency, CIA Behavior Control Experiments, Box:9, April 20, 1950.

3- U.S. Congress, Senate, Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities. INTELLIGENCE ACTIVITIES AND THE RIGHTS OF AMERICANS BOOK II FINAL REPORT OF THE SELECT COMMITTEE TO STUDY GOVERNMENTAL OPERATIONS WITH RESPECT TO INTELLIGENCE. Report No 94-755, Washington, 1976.

ثانيًا: الرسائل والاطاريح:-

1- عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، ألن دلاس وادارته لوكالة المخابرات المركزية (1893-1969)، أُطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب- جامعة بغداد، 2023.

ثالثًا: الكتب العربية:-

1- ج.م. جلبرت، محاكمات نورمبرغ، ترجمة: احمد رائف، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، مصر، 1991.

2- جيمس بامفورد ،هيئة الاسرار(وكالة الامن القومي تحت المجهر)، ترجمة: سمير جبلي؛ امين الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002.

3- كولن باون وبيتر موني، من الحرب الباردة حتى الوفاق 1945-1980، ترجمة صادق إبراهيم عودة، دار الشروق للطباعة والتوزيع، بيروت لبنان، 1984.

رابعًا: الكتب الإنكليزية: -

1- Annie Jacobsen, Operation Paperclip: The Secret Intelligence Program that Brought Nazi Scientists to America, Little, Brown and Company, Massachusetts, USA, 2015.
2- Carl Smith, Pearl Harbor, Osprey published, United Kingdom,200.
3- Eugene Liptak, Office of Strategic Services 1942-45: The World War II Origins of the CIA, Osprey Publishing, Midland House, England, 2009.
4- Frances R. Frankenburg, Human Medical Experimentation: From Smallpox Vaccines to Secret Government Program, ABC-CLIO, California, USA, 2017.
5- Glenn Hastedt, Espionage, ABC-CLIO, USA, New York, 2003.
6- James Srodes, Allen Dulles: Master of Spies, REGNERY PUBLISHUNG, INC, Washington, USA, 1999.
7- Jefferson Adams, Historical Dictionary of German Intelligence, The Scarecrow Press, Inc, Maryland, USA, 2009.
8- Michael R. Marrus, The Nuremberg War Crimes Trial, 1945-46: A Documentary History, Bedford/St. Martin's, New York, 1997.
9- Richard Dunlop, Donovan: America's Master Spy, Simon and Schuster, New York, 2014.
10- Stephen Kinzer, Poisoner in Chief: Sidney Gottlieb and the CIA Search for Mind Control, Henry Holt and Company, New York, 2019.
11-Peter Grose, Gentelman Spy: The life of Allen Dulles, Richer Todd Books, New York, USA, 1994.
12-David Talbot, The Devil's Chessboard: Allen Dulle the CIA and the Rise of American's Secret Government, HarperCollins Publishers Limited, New York, USA, 2015.
13-Tim Weiner, Legacy of Ashes, The History of the CIA, Doubleday, New York, USA, 2007.

خامسًا: الموسوعات: -

1- Encyclopedia Americana, Vol.16. International Edition, New York, USA,1979.

2- Encyclopedia Britannica, Inc, CD, 2011.

3- Thomas Smith, Encyclopedia of the Central Intelligence Agency, Facts On File, Inc, New York, 2003.